الانسان جوهر الحياة

☆☆☆

عجيب امر هذا الانسان الذي ينفذ ببصيرته الى معرفة سر الكائن في جزء من معنى الوجود، ويبحث باهتمام متواصل عن المادة فيهذب فيها المهمل، ويرتقي في تطورها المنعدم، كيف لا يعنى في نفسه عناية اصلاح وصعود – ونعني في النفس نفس الوجود لا اسبابه ومناسبته – وهو في ذاته جوهر الحياة الذي يعطي لكل كائن – في في اكتشافه او خلقه ما تحول من جامد الى متحرك، وما تبدل في سلبه الى ايجاب – روحه ووجوده، فانه في ذلك يكون في الاحداث « خالق ومخلوق » يعرف كيف يخلق ما هو دون عمل الخالق في قابل الخلق.

واذا كانت المادة والجوهر اسمين آخرين للقوة كما قرر المبدأ الفيزيائي، فالانسان في اسمه رمز متحد لقوة الوجود في جوهره ومادته، حيث كان كما زعم بعض العلماء « ان الانسان يسيطر بعقله على المادة، لا المادة تسيطر على العقل في الانسان » . وهو كالجواهر الفردية « Monads » يتوزع قياسياً الى مستوى خاص ودرجات متفاوتة، والى جوهر حي وجوهر ميت يمكن ان نراه ولا يمكن ان نراه، فيه قوة الكون التي ينبثق منها الفكر والعزم والحياة، وفيه الاشياء والحيوانات التي اشار اليها الفيلسوف الالماني ليبنز « الحيوانات لم تولد ولن تموت، والاشياء التي نفترض مناسبة وجودها تظهر فقط في الوجود وتتوارى » !

ومن المحتمل – وكل شيء في هذا الوجود يبنى على فرض الاحتمال، كما زعم العلامة « كلارك ماكسول » ووافقه في الرأي المطران « بولتر » – الاحتمال دليل الحياة – ، ان يكون الانسان هو اكبر مما نتصور، وان اللغة – وهي واسطة التعبير عن المعرفة – في نطقها المجازي والتشبيهي لم تعرف بعد قيمة الانسان وحقيقته ليعرف الانسان نفسه في حقيقتها، ولعل الروح التي لم تُعرف حتى في التشخيص الميتافيزيكي Metaphysical diagnosis هي الانسان ذاته الذي يمر شعاعه في الموجود الساكن الى الموجود المتحرك – منه واليه – فيؤلف هذا الكون كما تؤلف الذرة الهيدروجينية نفسها في اهتزازات او ذبذبات قدرها العلماء بـ ٤٥٠ مليون مرة في الثانية !

وعندما يأتي « هيجل » فيكيف الانسان من الناحية الاستعدادية بقوله « كن شخصاً Be a person » ، ويأتي الانكليز مثلاً فيقولون « كن فاضلاً Be a gentelman » كان معنى ذلك انهم يحدون بذلك معرفة القيمة الانسانية وقابليتها المثلى في الصعود، فان الفرق بين « انا ولا انا » كما زعم احدهم، كالفرق بين الموضوع والغرض، وما قاله احد العلماء « ان الانسان في الفنون الجميلة تطور من حيوان الى ان اصبح قريباً من الملائكة » هو ادراك عاطفي يجب ان ينتشر مفهومه بين الفضائل الانسانية لتستيقظ، ومن يقظتها يبدأ البحث، والبحث يؤدي الى نتيجة، والنتيجة تقود الى الحكم والتحول .

ان الانسان بحاجة الى نشوء فجائي Mutation تتحول فيه العقلية الميكانيكية الى عقلية روحية تبلغ درجة الحكمة الانسانية العليا Super human wisdom التي اشار اليها سقراط في ضرورة معرفة بدء الاشياء، وعندئذ يرى انه اهمل نفسه اكثر من خمسة آلاف سنة، ولو انه عرف جوهرها في تراكز السمو الكامل، لقام برحلات منظمة الى الجنة – كما هو – وادرك ابواب السماء قبل ان يدرك باب القمر . . !

ميشغن ـ الولايات المتحدة

عبدالله بري

نحن شعوب العالم

بقلم فؤاد صروف

« نحن شعوب العالم » بهذه الكلمات الثلاث تستهل الامم المتحدة ميثاقها. وفي اختيار اللفظين – لفظ « الشعوب » في مستهل الميثاق ، ولفظ « الامم » في اسم الهيئة العالمية ، مغزى لا يكاد يخفى على أحد ، ولكن الحرص على توكيده ، وتفسيره ، يوماً بعد يوم ، شيء لا غنى عنه ، لتستكمل الامم المتحدة المعنى الاول ، الذي من اجله أنشئت واليه تسير.

نعم ، ان حكومات الدول التسع والخمسين ، التي انتظمت اعضاء في الامم المتحدة في سان فرنسيسكو ، او قُبلت اعضاء فيها بعد انشائها ، هي التي توفد كل سنة وفودها الى الجمعية العمومية ، وهي التي ينتخب مندوبوها كل سنة ، او كل سنتين ، او كل ثلاث سنوات ، اعضاء في مجلس الامن ، او مجلس الاقتصاد والاجتماع او مجلس الوصاية ، او غيرها .

نعم ، ان حكومات هذه الدول ، الاعضاء ، هي التي تملك او توافق او لا توافق ، عن طريق ممثليها على القرارات التي تطرح للاقتراع ، وهي التي تكفل تنفيذ تلك القرارات متى تمّ الاتفاق عليها بالاكثرية المطلوبة او تتهاون في تنفيذها .

نعم ، ان مبدأ الاجماع بين الدول الكبيرة الخمس في مجلس الامن يحدّ من سلطان الدول الاخرى ويخضع طائفة من اعظم المسائل شأناً واعلقها بحفظ الامن الدولي ، وصون السلام ، لحق الاعتراض او الفيتو ، الذي هو نتيجة منطقية لمبدأ الاجماع الذي تقدم ذكره.

كل هذا ، وغيره كثير ، يوحي بأن الامم المتحدة ميدان لا شأن فيه لشعوب الدول التي انتظمت اعضاء فيها ، ولكن ينبغي ان لا ننسى ان الاركان الثلاثة التي قامت عليها الامم المتحدة ، هي أولاً صون السلام ، وهذه المهمة هي في المقام الاول مهمة مجلس الامن ، وثانياً انشاء الاحوال التي يتاح فيها للسلام ان يستتب ، وللرخاء ان يترعرع ، وهذه المهمة هي في المقام الاول مهمة مجلس الاقتصاد والاجتماع ، والوكالات المختصة التابعة له ، وثالثاً الاعراب عن الضمير العالمي ، وهذا يتم بغير قيد سوى قيد اللائحة الداخلية ، في الجمعية العمومية ولجانها .

اما مجلس الاقتصاد والاجتماع ، ووكالاته المختصة ، فلا همّ له أو لها ، سوى التمهيد للسلام عن طريق الرخاء . وهذا المعنى هو شعاره وان لم يتخذه شعاراً رسمياً ، وهو ايضاً شعار كل شعب من الشعوب فليس في العالم اليوم امة لا تريد ان تكون احسن صحة وافضل عيشاً وأوفر تربية وثقافة وضماناً اجتماعياً لجميع ابنائها على السواء . وليس في العالم اليوم ، امة تستطيع ان تزعم انها في غنى عن سائر العالم ، وكل من يقول ان الاستكفاء الاقتصادي او الثقافي مستطاع ، يقوله بدافع من العاطفة ، ويعزل عن الحقيقة ويسلك في قوله طريق الرجعى والعزلة والجمود . حتى الولايات المتحدة ، او الاتحاد السوفيتي ، وكلاهما يملك قدراً وافراً من الموارد الطبيعية والانسانية ، لا يتأتى له ان يستكفي لو أراد.

فاذا كان العالم كله موصول الاواصر ، كما يدل كل استطلاع اقتصادي منزه عن الهوى ، فالنهوض الاقتصادي في بعضه ، والتخلف عن النمو الاقتصادي في بعضه الآخر ، يفضي الى اختلال التوازن ، اي ان الرخاء البشري ، هو كالحرية ، شيء لا يتجزأ . وقد قال لنكلن ، الرئيس الامريكي العظيم : « ليس في وسع بلد ان يعيش نصفه حر ، ونصفه عبد » ، وكذلك عالم اليوم.

فمجلس الاقتصاد والاجتماع اقر هذا المبدأ ، وهو اقرار خطير ، ثم اتبع به اقرار مبدأ آخر ، وهو ان الامم المتحدة تحمل على كاهلها تبعة بذل المعونة للامم المتخلفة في نموها الاقتصادي ، وهو في سعيه ، الى تحقيق المبدأين ، مبدأ ان الرخاء لا يتجزأ ، ومبدأ تبعة الامم المتحدة في اقامة الرخاء ، انما يسعى جاهداً لتحقيق الركن الثاني من الاركان الثلاثة التي قامت عليها الامم المتحدة ، اي توفير الاحوال الاقتصادية والاجتماعية التي يتاح فيها للسلام ان يستتب ، وللرخاء ان يترعرع .

وهذا عمل مبدأه ومعاده خير الشعوب ، والحكومات ليست فيه سوى وسيلة او اداة . ممن تستمد هيئة الصحة العالمية وحيها ، ولمن تدبر مشروعاتها ، حين تسعى الى قهر الاوبئة ، او حصر نطاقها ، او منع انتقالها ؟ أليست صحة الفرد ، وصحة الجماعة ، هي الركن الذي لا غنى عنه في بناء صرح الرخاء ؟ وممن تستمد هيئة الطعام والزراعة وحيها ، ولمن تدبر مشروعاتها ، حين تسعى بالنصح والارشاد ، الى التوسل بأحدث الوسائل التي فتقتها حيلة العلم ، وأرستها التجربة ، لزيادة معدل الانتاج الزراعي ، ورفع مقدار المتاح من الطعام لكل فرد من الناس ؟ أليست الكفاية من الطعام هي الركن الذي لا غنى عنه في بناء الكرامة والطمأنينة وتعزيز القدرة على الانتاج ؟ ممن استوحى مجلس

* حديث اذيع من راديو هيئة الامم المتحدة في لايك سكسس.

الاقتصاد والاجتماع، واللجنة الاجتماعية العامة في الجمعية العمومية، حين حرصا على وضع ميثاق حقوق الانسان، الذي وافقت عليه الجمعية العمومية في اليوم العاشر من شهر ديسمبر ١٩٤٨ والذي جاء في صدره ان الاعتراف بالكرامة الاصيلة في ابناء الاسرة الانسانية جميعاً، وبتساويهم في حقوق ملازمة لهم، هو اساس الحرية والعدل والسلم في العالم؟ أليس استمتاع كل فرد بهذه الحقوق، في حدود القانون، هو المثل الذي لم تزل الانسانية تصبو اليه منذ فجرها الاول؟

اما الجمعية العمومية ولجانها، فقل فيها ما تشاء — قل ان الخطب في المناقشة العامة التي تسبق العمل في اللجان الرئيسية، يغلب ان تكون طويلة، مملة، فيها كلام معاد، او اتهام مثير من هنا او هناك، ينافي الحقيقة حيناً، والذوق احياناً — او قل ان العمل في اللجان يُدبَّر أمره في الاروقة والاجتماعات الخاصة، وان الضعيف فيها مهمل حتى يقوى بنفسه او بأصدقائه، قل ذلك، فلا تعدو حقيقة الواقع، ولكن الذي لا يسعك الا ان تعترف به، هو ان منبر الجمعية العمومية هو اعلى منابر العالم واجهرها صوتاً، وليس فيها او في احدى لجانها من قيد يفرض على الرأي او القول، سوى قيد اللائحة الداخلية، فالضعيف يستطيع على الاقل ان يقول كلمته وليس في وسع القوي ان يمنع هذه الكلمة او ان يطمسها فكل ما ينال، ان لم تعن به الصحف، فان محطة اذاعة الامم المتحدة، تذيعها في اربعة اقطار المعمورة، وقسم الصحافة في الامم المتحدة، يعنى بطبع نسخ كثيرة من كل بيان يلقى، اذا طلب اليه الوفد الذي يلقيه ان يفعل. وستظل الجمعية العمومية ولجانها مترنحة بين العدل المجرد والواقع، بين الضعيف الذي عدله بيّن، والقوي الذي ينحاز اليه الناس لانه قوي، حتى نصير، « نحن شعوب الارض » اصح ادراكاً، واقوى شعوراً، واوثق آصرة، ويومئذ لا يسع القوي مهما علا وقوي، الا ان يصغي الى هذه الهمهمة الهادرة الصادرة من اعماق النفوس البشرية، ويقيم لها وزنها الصحيح في ميزانه العالمي.

نعم ان تاريخ الامم المتحدة، كما يتمثل في مجلس الامن على الاكثر، وفي الجمعية العمومية، لا يرضى كل من تطلع منذ اليوم الاول، الى هيئة لا تنهج الا نهج الحق والعدالة في اقرار كل مسألة تطرح للبحث امامها. وقد حضرت طائفة من اجتماعاتها في سنتين متتاليتين فهالني ما رأيت وما سمعت، من كر وفر على صغائر الامور، وثرثرة وتجهم ومناورة في كبارها. وقد عرفت في شعوبنا العربية، غير واحد من اهل الرأي يدعو الى الخروج منها، وهو رأي اذا قارنته بالمثل الاعلى الذي رنونا اليه من خلال غياهب الحرب، كان له عندي اعظم التقدير، ولكنني مع ذلك لا انسى ان انقسام الدول الكبيرة كتلتين متنافستين قد ترك اثره في اعمال الامم المتحدة، وبخاصة ما كان منها منصباً على المسائل التي تمتّ الى السياسة والامن بصلة وثيقة، وانه برغم هذا الانقسام لا تزال وفود الامم، تجتمع وتتناقش وتختلف على الاكثر، وتتفق على الاقل، ولكنها تجتمع وتتناقش على كل حال، فأقول ان كان هذا شر، فهو اهون كثيراً من ان تمتنع عن الاجتماع. ثم لا انسى ان الشعوب العربية، وحكوماتها، لم تجن من عضويتها في الامم المتحدة اقصى الجدوى. نعم خذلتنا الجمعية العمومية في فلسطين، ولم ينصفنا مجلس الامن في مصر، وكلاهما غير معصوم عن الخطأ، كما سمعت بنديت نهرو يقول اليوم، وهو قول فيه رفق ومجاملة. ولكن متى عنيت الدول العربية بتوحيد كلمتها، وانشاء وفود دائمة لدى الهيئة كما فعلت مصر فيتمرس رجالها بجميع وسائل الهيئة واساليبها، ويبذلون سعيهم الدائم في الامور التي تهمهم على وجه خاص، فانها تصير نواة الكتلة يخطب ودها ومدرسة لطائفة من الشباب العربي يتدربون في اكبر معهد سياسي في العالم، حتى اذا عادوا الى اوطانهم كانوا، في الداخل او في الخارج، انفع له واجدى عليه. واخيراً لا انسى ان شئون السياسة والحرب، التي كثر عليها النزاع، واشتدت من اجلها خيبة الامل، هي في الواقع بعض عمل الامم المتحدة، واما البعض الآخر، فهو ذلك العمل المنشأ، على بعد مجناه، في مجلس الاقتصاد والاجتماع ووكالاته المختصة. فأنباء المشكلات الخاصة بالسياسة والحرب والسلم، هي التي تحتل المقام الاول في الصحف، وهي التي توحي بأن الامم المتحدة — برغم توفيقها بعض التوفيق في مشكلات سياسية كمشكلة اندونيسيا — سائرة قدماً الى حتفها كما فعلت عصبة الامم من قبلها. واما انباء التغلب على المرض، وتحسين اسباب الانتاج الزراعي، وتوفير خيرة كتب الادب في اهم لغات الامم، وضمان حسن الاحوال التي يعمل فيها العامل الصناعي، وما كان على غرارها، فلا تلقى سوى عناية قليلة من الصحف ان لقيتها.

فنحن شعوب الارض، ينبغي لنا ان نحرص، اولاً على فهم عمل الامم المتحدة، وضرورتها، وثانياً على تأييدها دون اغماض العين عن مواطن النقد فيها — حتى تسير الى الهدف الذي نصبو اليه، فهي وحدها الوسيلة العالمية التي تعبر عما يجول في نفوسنا من توق الى السلام والطمأنينة، وشوق الى حسن الحال التي لا قيام للسلام الحقيقي الا فيها، فان كانت هذه الوسيلة غير مجدية حتى اليوم، افضل الجدوى، فليس النقص فيها، بل فينا « نحن شعوب العالم ».

القاهرة — فؤاد صروف

خمر العيون

☆

من ديوان رندلى
الذي سيصدر قريباً

●

لسعيد عقل

أَمِنْ خمرةٍ أم لا خيالي مطيَّبُ
لوهجيَ، يا عينانِ، أنّيَ أشربُ؟
احبُّكما: رُدّا عن الأفقِ لفتةً،
شكاةَ هوىً، توهي الغمامَ وتُتعبُ
لهذي التي تُدعى البريّةَ مطلبٌ
بأن تطلعا فيها: فهل بعدُ مطلبُ؟
ألم يكفِهِ نجماً لنا أن خطرتما
على باله، يوم الخواطرُ خُلَّبُ؟
ولمْ كنتُما؟ هل للجمال تعلّةٌ
بما بعدَهُ؟ ما بَعْدَ ما هو مأربُ؟

***

تأنّيتُما حتى ليَضحكُ طافراً
– مدى الهُدب – نيسانٌ فتِيٌّ محبَّبُ.
فهل قدرتْ قدْرَ التفاتكما الرُّبى،
وماد كفافَ الميْد غصنٌ مُشبَّبُ؟
أُجلّكما عن أن يقال: نظرتُما
إلى الارض، ما دامت تَضيق وتُجدِبُ

***

ارى المنتهى آناً من الدهر شارداً
توقّفَ عندَ الجفن يحيا ويلعبُ.
له الله! ما الحلمُ الذي عاش بعضَه،
على شاطىء العينين، فارتاح يطربُ؟
يقول: بحارُ النور هذي، فطِرْ بنا،
أيا زورقاً في اللحظ ناداهُ كوكبُ.
لِعَيْنَيْ «نيا» بَدءٌ أنا مؤمن بهِ،
ومن قال: قد يأتيهما الموتُ. يكذبُ
تقول نيا: لِمْ كان ضوءٌ؟ ألذّةٌ
بضوءٍ أم اَنّ الناظريَّ تطلّبوا؟
أنا يومَ اعلنتُ الوجودَ زيارتي
له، استعجل العُبدانُ ما أتجلببُ؛
فكانت – أظُنُّ – الشمسُ بين حوائجي
أعِدّتْ لعيني حين قلتُ: سأرقبُ.

مع الفيلسوف ابن سينا

بقلم زكي المحاسني
دكتور في الآداب من جامعة فؤاد الاول

ترى ، أشاقني الكلام على ابن سينا في هذا المقال أن اهل فارس دعوا للاحتفال بمرور الف عام على مولده . لئن كان الفارسيون فعلوا ذلك فان المحمدة في سبقهم الى هذه الدعوة . وكانوا حفيين بالفيلسوف ابن سينا من قبل هذا العصر ، حين دعا في القرن العاشر الهجري فيلسوفهم صدر الدين الشيرازي ، الى احياء الذكرى للشيخ الرئيس . فأشاع ذكره من ذلك اليوم في بلاد فارس . ولا علي أن استبق حوادثهم في العجم ، فاحتفي من قبلهم بالفيلسوف الحسين بن سينا .

فأنا أتمثله كما كان في أواخر القرن الرابع من صباه ، الى اواخر شبابه ، وفي اوائل القرن الخامس حيث اكتهل ، وأطل على الشيخوخة ، فمات ، وعمره الثانية والخمسون ، فلم يدركه الهرم . كانوا يسمونه شيخاً لانه ابس في فلسفته وطبه أعمار الشيوخ . اني لأراه كما كان فتى ساهم الفكر كأنما يُشار اليه من العلاء بإلهام . يجيء في العشايا الى مجالس والده فيصيخ بالسمع الى أشياخ كان والده معهم يذهبون مذاهب الاسماعيلية ، فيمتعض الفتى من كلام ، وتنطلق أساريره لكلام . ولعله كان لا يروقه ما كانوا يأخذون به من الحديث في امور الدين ، ولكنه كان يحب طرائق جدلهم ، وأفانين مقولاتهم . وخرج من جلساتهم وقد تروّى بالتجادل ، وعرف أساليب المتكلمين فلما جاءه معلمه الاول ابو عبدالله الناتلي وجد فيه تلميذاً عسيراً ، كثير الفهم ، كثير التعبير . ولم ينج معلمه الاول من مياسمه الكاوية ، التي اشتدت منه وحميت ، بعد أن صار الإمام الفيلسوف الخالد . لأ ذكر نه وقد استبهمت عليه وجوه المسائل ، فقد كان كالقديسين الذين تدهمهم الكوارث فيلجأون الى الله ، كان يدخل المسجد الجامع فيصلي ، ويستجير ربه ان يفتح عليه في فهم المغاليق ، وتسهيل المعاسير . فاذا خرج من مصلاه ، وجاء بيته وقد دمّر الليل ، أدنى سراجه من كتابه ، وعكف عليه يتفرس فيه ، ويقرأ ، ثم يبدي ويعيد وتأخذه سِنةٌ من النوم ، فيهب الى الشراب المنبه الذي اعده من قبل ان يكون أطبّ عصره . فاذا اخذ منه جرعة او جرعتين ، ازداد قوة وانتباهاً ، فعاد الى مسامرة الكتاب ، وكان لا بد له من غرار نوم ، فاذا رنّق الكرى على جفنه ، وكُتبه منطرحة من حول مرقده ، رفّت الاحلام عليه ، كطفل بريء . لقد كان يقول ومهما أخذني ادنى نوم حلمت بتلك المسائل بأعيانها حتى ان كثيراً من المسائل اتضح لي وجوهها في المنام .

وويح أرسطو ، لقد اجهده منه البلاء . لم يكن الحسين بن سينا عياً ولا فهيهاً ، ولكن تعايت عليه مفاهيم ارسطو . لان الكتب التي تُرجمت عن الحكيم اليوناني الاول ، لم تكن سهلة التركيب ، ولا بيّنة التعبير ، كذلك عذّبه مصنّف ارسطو فيما وراء الطبيعة فقرأه ابن سينا اربعين مرة ، ولم يفهمه على مقاصده كلها ، واستظهر الكتاب الفلسفي الذي وضعه مؤدب الاسكندر . وبقي في نفسه ما فيها من الضير . حتى كان في سوق الوراقين ، فاذا دلال يقف به ويبيعه كتاباً بيدرهمات ، ويلح عليه ان يشتريه ، فيأخذه الفيلسوف الجاهد ، ويجده كتاب الفارابي الذي يشرح فيه الفلسفة العامة عند ارسطو ، فيفهمها عنه ويستتم بها حكمته .

ولكن ، هل ظلت حالة ابن سينا في البحث والدرس دعاء في المسجد ، وصلاة على نية الفتح ، وتهجداً أمام شمعة يرجف ضوؤها على الكتاب ، ثم نوماً حالماً بحلول المسائل ؟ هيهات ! . فان ابن سينا قد تقدم ، وكهولته قد اخذت بعمره ، وحنكته الخطوب فتداهى حتى اتهم باحتكار العلم والانفراد به . فروى ابن خلكان ان نوح بن منصور الساماني احضر ابن سينا لمداواته ، فوجد ابن سينا عند نوح بن منصور مكتبة رائعة فيها من التآليف ما لم تنله يد عالم في عصره . فاستأذن بقراءة هذه المكتبة ، فأذن له نوح . وما اطلع ابن سينا على اكثر ما فيها من نوادر المصنفات حتى وقعت هذه المكتبة بألسنة الحريق . فتلفت عن آخرها . واتهم ابن سينا باحراقها ، لينفرد هو بما فيها من المعرفة .

وكما تغيرت طباعه في طلب العلم ، فقد تغيرت في صورة هذا الطلب . صارت اليه الوزارة ، وأكرمه شمس الدولة صاحب الري . ثم علاء الدولة . وسأل هذا الامير فيه خواصه فمدحوه له وأكبروه . وكان للامام عمر الخيام الشاعر الفلكي يد في محمدته . فقد سأل علاء الدولة الخيام :— ما تقول في اعتراضات الحكيم ابي البركات ابن ملكان على كلام ابن سينا .

فقال عمر الخيام : — أبو البركات ليست له رتبة الادراك لكلام ابن سينا فكيف تكون له رتبة الاعتراض ؟ .

قلت ، لقد تغيرت حال ابن سينا اواخر شبابه وفي اكتهاله. واصابته فتنة فسجن شهوراً وخرج من السجن على نقيض فيرلين. دخل فيرلين السجن ملحداً فخرج مؤمناً. ودخل ابن سينا السجن زاهداً فخرج عربيداً يفتنه الجمال. احب الجمال فوق حب المقال. وبات يكرع بنت الحان ويعاشر الندمان على الرغم من ممارسته العلوم والتفكر في الفلسفة، وصار يروقه سماع القيان والمنشدين بعد سماع القراء والمحدثين. كان مجلسه عند شمس الدولة يبدأ بالدراسة والمناظرة فيتحلق تلاميذه ومريدوه من حوله ، وامام كل منهم كراريسه وكتبه ، فيقرأ واحد فصلاً من « الشفاء » ويشرح الشيخ ابو علي ما شاء الله ان يشرح ، ثم يقرأ تلميذ آخر باباً من كتاب « القانون » فاذا أتم الشيخ التفسير وأتم التلاميذ الفهم، وجاء الليل تحول المجلس من علم الى لهو، فأخذ الرئيس بالتطريب ، واحتسى الخمرة، ودارت بحضرته مع اقرانه وندماه المعازف ، بعد المعارف.

وألح على الفيلسوف حب الجسد بعد حب العقل ، فأودى به الامران ، وغاله الخصمان. لقد مرض فداوى نفسه ، ودس له غلمانه في الدواء ما زاد بالداء ، فلما علم انه هالك ، ترك التداوي، ونهض من سقامه متحاملاً فاغتسل وتاب ، وجمع غلمانه وعبيده فمنحهم الحرية واستغفر الله من ظلم جناه ، ومات لا له ولا عليه.

لقد لُبت علـى آثاره. ولم يكن شيء احب الي من فلسفته الروحية . كان عالماً بسيكولوجياً من الطراز الاعلى ، قبل ان تكون البسيكولوجيا في أوربة. وكان نفسياً فأحب العالم الروحي من خلال النفس الانسانية فأكب يسأل علومه عن حقيقة النفس ويحار في هيولاها . تكلم كثيراً في كتاب « الشفاء » في رسالته الى نوح عن النفس في اثباتها وتحديدها ، ووجودها وخلودها . وسائل كتب الاوائل عنها . حاول ان يتعرف بها فأعياه الامر ، لان النفس تستعصي على المعرفة . ومن قبله ارادت قريش ان تسأل سيدنا محمداً عن الروح . فغاب الرسول عن قريش ورئي يتهجد . ثم ارتد اليهم وهو يقول آية الروح (ويسألونك عن الروح قل الروح من امر ربي وما اوتيت من العلم الا قليلاً).

وكذلك كان ابن سينا فانه ما أوتي من العلم فيما علم وتبحر الا القليل ، فعالج قضية النفس ، وهي اكبر قضية في فلسفة ما وراء الطبيعة . فلما اعياه الأمر لجأ الى آثار النفس وحاك الكلام حول هذه الآثار ، وهو يعجز عن معرفة المؤثر . وصح رأيه بان النفس كمال مطلق ، وليست بادراك ، ثم حاول ان يتفهم النفس من خلال مفاهيم الجواهر ، وراح يحلق بين حدود الجواهر ، وصفات الهيولى .

ولما عيَّ عن اكتناه حقيقة النفس في علوم الفلسفة والطبيعة ، وبلغة النثر والتخاطب ، لجأ الى الشعر وكان شاعراً له زهديات وصوفيات ، فراح يناجي الروح بلسانها الذي تفهمه ، ولا تعي سواه ، فتمثلها حمامة ورقاء . وكان مثله الشعراء يناجون الورق والحمائم ، فقال ابو فراس :

أقول وقد ناحت بقربي حمامةٌ   أيا جارتا لو تعلمين بحالي

وقال معاصره المعري :

أبناتِ الهديل أسعدن اوعِدنَ   قليل العزاء بالاسعاد

وكذلك احب ابن سينا ان يتعزى في فهم النفس فجعل الشعر سبيلاً لمناجاتها ، فسمع هتاف النفس اليه من العلياء، ورآها تهبط عليه كفراشة هفهافة. انها لحمامة من الورق مدللة متمنعة، فهي مواصلة مهاجرة ، ومواتية متعذرة. يقول فيها في مطلع هذا الشعر :

هبطت إليك من المحل الأرفع   ورقاء ذات تعزّز وتمنّع

فكان بهذه القصيدة شاعراً رمزياً من قبل ان تخلق الرمزية في الادب العربي على قلم بودلير، وايدغاربو، وعلى لسان بول فاليري. كذلك يخلد ابن سينا، ولا يضير خاوده اني آخذ عليه عنفه في النقد . فقد نقد الرازي بأعنف عبارة وسفه فلاسفة عصره . فقال عن الفيلسوف البغدادي ابي الفرج الجاثوليق : من حق تصنيفه ان يرد على بائعه ويترك عليه ثمنه . وقد اكون عذيره ، فان الحقيقة العلمية كانت لا تتعاظمه ، فهو محاميها في كل مكان . لقد دخل علي ابن مسكويه صاحب تجارب الامم وهو في مجلس عمله وتدريسه ، فوقف في حلقته هنيهة ثم طرح قدامه جوزة وقال له : بيّن مساحة هذه الجوزة بالشُعيرات . فرفع ابن مسكويه اجزاء في علم الاخلاق كانت بين يديه ، ورماها الى ابن سينا وقال : اما انت فأصلح اخلاقك اولاً حتى استخرج لك مساحة الجوزة .

فأذكرني ابن سينا حين بغت ابن مسكويه بأمر الجوزة ، بالفيلسوف المتقشف ديوجين حين مرّ على الفيلسوف زينون الايلياني صاحب مقالة السكون والحركة ، فجلس مع سامعيه ، فوجده يحدد لهم الانسان ويقول :

— الانسان حيوان بغير ريش .

فانسل ديوجين ، حتى اتى بديك منتوف الريش وطرحه في حلقة زينون وقال له :

— اذن هذا هو الانسان !..

دمشق   زكي المحاسني

الحركة المسرحية في فرنسا عام ١٩٥٠

بقلم نعيم قطان

☆☆☆

ان الحركة المسرحية في فرنسا كانت ولا زالت تطبع الحياة الادبية الفرنسية وتدلنا على تطور واتجاه الادب الفرنسي بصورة عامة . وخير دليل على ذلك ان كافة الحركات الادبية قد تزعمها كتاب مسرحيون فموليير وراسين وكورني لم يكتبوا الا مسرحيات . وفولتير وجه عناية خاصة بالمسرح . وان ميلاد الحركة الرومانتيكية بصورة « رسمية » كان قد اعلن في العراك الذي دار في الكوميدي فرنسيز حين عرضت مسرحية فيكتور هوغو الشهيرة (هرناني) لاول مرة .

ولو وجهنا نظرنا نحو الادب المعاصر لوجدنا ان كبار الكتاب قد اعتنوا عناية خاصة بالمسرح وان كان ذلك لا يعني انهم حازوا نجاحهم في المسرح . هذا جيد وهذا رومان رولان وهذا كلوديل بالامس القريب وهذا سارتر وهذا كامو وانوي وسالاكروو غبرييل مرسيل اليوم تركوا المسرح يحتل المكان البارز في انتاجهم الادبي .

ولا يتسع المقام هنا لتبيان اهمية المسرح في الحياة الفكرية في فرنسا واعلي احاول ذلك في مقال آخر « للاديب » . كل ما اريده الآن هو رسم الخطوط الرئيسية لاتجاه الحركة الادبية في فرنسا في هذه الآونة وذلك خلال المسرحيات التي عرضت على الجمهور الباريسي هذا العام .

***

منذ تحرير باريس طبع المفكرون والفلاسفة المسرح الفرنسي بطابعهم وصار المسرح يرمي لا الى التسلية او تحليل الشخصيات او الامتاع الفني الصرف بل بصورة كبيرة الى الامتاع الفكري والى عرض النظريات السياسية والفلسفية والدينية . فكان نجاح جان بول سارتر مثلاً يفوق نجاح اي كاتب مسرحي آخر . ومن الغريب ان مسرحية « كجلسة سرية » التي يعرض فيها سارتر نظرياته الوجودية والتي يصعب فهمها على المتفرج البسيط لعمقها ودقة الاداء التي يتعرض لها المؤلف قد نجحت نجاحاً عجيباً مع خلوها من اي عقدة دراماتيكية ، ومسرحيات البير كامو لا تجذب الجمهور بكلمات رنانة وآراء غريبة في الظاهر كما هي الحال في معظم مسرحيات سارتر ، فكامو لا يحاول ان يتقرب ويتودد الى الجمهور ولا يعلن عن بضاعته بل يعرفها كما هي بما فيها من عمق وتعقيد ومع ذلك فان نجاحه كان باهراً وبالاخص في مسرحيته كاليغولا (التي ترجمها الاستاذ رمسيس يونان الى العربية) وسوء تفاهم . ويعاون نجاح مسرحيات انوي وخاصة « انتجون » و « ارديل » نجاح مسرحيات سارتر وكامو وكلتا المسرحيتين فلسفيتان الاولى تناقش مشكلة الحكم والثانية الحب .

وقد حدث تبدل ملحوظ في الحركة المسرحية في باريس (التي هي دون شك المركز الوحيد للحركة الفكرية في فرنسا) هذه السنة . فرائد المسرح كان يشعر في العام الماضي ان رد فعل قوياً ضد المسرح الفلسفي يرتسم في الافق وقد تبلور رد الفعل هذا هذه السنة واصبح حقيقة ملموسة . والظاهر ان الناس قد ملوا مشاهدة مشاكل العالم الازلية تجادل وتناقش فوق خشبة المسرح بصورة فلسفية جامدة بعيدة عن الحياة . واول ظواهر رد الفعل هذا قد تجلى في تعدد المسرحيات الدينية في البرهة الاخيرة وقد بدأ ذلك في العام الماضي ثم اخذ بالتوسع والانتشار هذا العام . وقد لمسنا في الموسم الماضي نجاح بول كلوديل الذي كان بحق الكاتب الذي صبغ الموسم المسرحي الماضي بصبغة خاصة ومهد لغيره السبيل . فقد كانت فرق مسرحيته ثلاثاً تعتبر خير الفرق المسرحية الفرنسية تمثل ثلاث مسرحيات لكلوديل . فكانت الكوميدي فرانسيز (المسرح الوطني) تمثل « الحذاء المخملي » وهي مسرحية

يستغرق عرضها قرابة خمس ساعات. وفي الوقت نفسه كانت فرقة جان لوي بارو في مسرح الماريني تعرض «تقسيم الظهيرة» وفرقة بارساك في مسرح الاتيليه تمثل «الخبز الصلب» والمسرحية الاولى دينية والثانية مأساة فردية والثالثة مأساة اجتماعية لكن نظرة المؤلف واتجاهاته في مختلف هذه المسرحيات كاثوليكية صرفة .

وقد تعددت المسرحيات ذات المواضيع الدينية هذا العام ولعل اهمها اثنتان الاولى هيلوئيز وابيلار لروجيه فايان الذي يقص علينا مأساة الفيلسوف الذي وقع في حب طالبته فكان عقابه قطع عضوه التناسلي بمؤامرة حاكها عم الفتاة الراهب وفي الحقيقة ان المسرحية تظهر لاول وهلة لا علاقة لها بالدين ، الا انها تمثل كفاح مفكر يحاول ان ينال حريته الفردية بفضل الحب الانساني الدنيوي وبفضل صلابته الفردية فيعارضه الراهب الذي يمثل الدين ويبذل وسعه لاسره بين جدران المعتقدات المتوارثة العتيقة . وتنتهي المسرحية بهجوم عنيف على لسان الفتاة الجميلة هيلوئيز ضد الكاتيدرائيات التي تمثل « دين الخوف والرعب » مما اثار سخط النقاد في فرنسا مع ان احداً منهم لم ينكر القيمة الادبية والفنية الكبيرة للمسرحية .

والمسرحية الثانية التي تستحق الذكر هي « لكل حسب جوعه » للكاتب البلجيكي جان جوليان وهي اول مسرحية تمثل له وهذا الكاتب اكتشفه الممثل الذي توفي قبل بضعة اسابيع شارل دولان وعهد الى فرقة ريمون هرمانتيه مهمة تمثيل المسرحية وعرضها على خشبة الفيو كولومبيه وهو مسرح صغير في الحي اللاتيني تعرض فيه الاعمال الجديدة للكتاب الشباب والذين يجهلهم الجمهور بصورة خاصة. والمسرحية تروي لنا قصة راهبة رئيسة دير في احدى قرى البرتغال تثيرها تصرفات الكهان المحيطين بها وتريد ان تكون صلتها بالله مباشرة صافية فترفض ان تسمح لاي شخص خارجي ان يجتاز عتبة الدير حيث تعتصم هي وبعض الراهبات مخالفة بذلك الاصول الدينية المتبعة. ولا يمكن القول ان المسرحية تتضمن هجوماً على الدين بل يمكن اعتبارها على العكس دفاعاً عن التعاليم الدينية الصحيحة وتطهيرها من كل شائبة، وتنتهي المسرحية بموت الراهبة حرقاً بثورة الجمهور الجاهل الذي غدا يعتقد بان كل ما يلحق بهم من مصائب وآلام ان هي الا نتيجة لمخالفة الراهبة الدين .

وان هذا التحول في التيار المسرحي لم يظهر فقط في المسرحيات الدينية بل في كثرة من الكوميديات السهلة البسيطة التي لا تتوخى اكثر من التسلية والاضحاك دون تضحية بالقيمة الفنية البحتة. وقد استغرب عدة نقاد حين بعث جان لوي بارو من النسيان كوميديا سهلة مثل «اعتني باميلي» لجورج فيدو ومسرحية اخرى «كالاحدب» لانسيه وفيفال وقد نسيها الجميع منذ ثلاثة ارباع القرن وهي دراما سهلة فيها صراع بين اشرار واخيار تنتهي بانتصار الآخرين كما في الروايات التي تكتب للاحداث . نعم لقد استغرب من اعجب ببارو حين عرض في العام الماضي مسرحية صعبة كالمحاكمة لفرانز كفكا وهملت لشكسبير ومسرحية كلودبل التي اشرنا اليها سابقاً ان يلتفت الآن الى مسرحيات سهلة بسيطة لا عمق فيها فيخرجها من النسيان ويعيدها الى الحياة .

الا ان بارو قد شعر قبل غيره ان الناس قد ملوا المسرحيات الفلسفية وان المسرح قد بدأ يخرج عن سبيله حين اصبح يبذل جل عنايته في عرض الافكار، فالمشاهد يجب ان يحيا مع الممثلين الذين يمثلون امامه ويشترك في الشعور الذي يعبرون عنه امامه، ولكي يشترك الجمهور مع الممثلين ولكي تكون هناك علاقة وطيدة ووحدة في الاحساس في القاعة يجب ان تؤثر المسرحية على عواطف النظارة وتهز احساسهم وقد اثبت لنا ذلك كبار كتاب المسرح في مختلف العصور. فراسين يبكي وموليير يضحك وشكسبير يبكي ويضحك . وهذا التغير في ميل الجمهور واتجاهه قد ظهر لنا بصورة جلية في الاثر الذي تركته مسرحية كامو الجديدة « العادلون »، ذلك الاثر الذي يبدو مبهماً اذا قورن بأثر مسرحية سارتر « الايدي الملوثة » في العام الماضي . وموضوع المسرحيتين واحد تقريباً : هل تتساير العقيدة الثورية كمثل اعلى مع مقتضيات العمل الثوري ؟ ولا حاجة بي هنا الى العودة الى مسرحية سارتر فقد كتب عنها الاستاذ بدوي في الاديب. اما « العادلون » لالبير كامو فملخصها (وهي تستند الى حوادث واقعية) ان احد اعضاء جمعية ثورية روسية قد عهدت اليه عام ١٩٠٥ مهمة اغتيال الدوق الكبير اسكندر الا انه حين تمر امامه العربة التي فيها الدوق يجد بجانبه الدوقة وطفليها فيمتنع عن تنفيذ المهمة : ليس له الحق في قتل طفلين بريئين . وفي المرة الثانية يجد الدوق وحيداً فيغتاله فيقبض عليه ويعدم، وتنتهي المسرحية بكلمة حبيبته: «الآن اصبح الامر اكثر سهولة » وتطلب بان يعهد اليها بالاغتيال القادم . فلقد تولد سبب آخر للقتل : الانتقام للشهيد . ويمثل المسرحية ماريا كازاريس وسرج رجياني بنجاح كبير وان قيمة المسرحية الادبية والفنية تفوق بنظري بصورة كبيرة مسرحية سارتر. الا ان نجاحها لا يمكن ان يقارن بنجاح مسرحية سارتر . وذلك لا يرجع فقط

لكون كامو لا يتودد الى الجمهور ويجذبه بالكلمات البراقة والجمل الاخاذة الغربية ذات المسحة الفلسفية المبهمة بل لان الجمهور قد مل مثل هذه المواضيع .

ونحن لو اضفنا الى ما تقدم ان المسرحيات السطحية الفكاهية والفودفيلات قد تعددت وازدادت مؤخراً بصورة فظيعة يكون بوسعنا ان نستخلص ان المسرح الفرنسي سائر الى السهولة والسطحية بيد ان استنتاجاً كهذا يكون بعيداً عن الحقيقة ولو ان الظواهر تؤيده . وهنا يجب ان نتحدث عن كاتب جديد لمع نجمه بصورة مفاجئة وحاز الشهرة بسرعة منقطعة النظير واعني بـه ميشيل دي غلدرود وهو كاتب بلجيكي كتب الى الآن حوالي خمسين مسرحية (وهو الآن في العقد الخامس من عمره) لم يهتم بتمثيلها احد ولم يتحدث عنه اي كاتب او ناقد . واكثر من ذلك ان اغلب مسرحياته لم تنشر وما نشر منها كان في بلجيكا وعلى نفقته . وحدث ان فرقة من الشباب يقودها اندره ديباز وكاترين توت قد اكتشفت دي غلدرود فقدمت اثنتين منها في مسابقة الفرق الفتية في العـام الماضي ونالت الجائزة الاولى فما كان من جان لوي بارو الا ان يفسح المجال لهذه الفرقة ان تمثل مرة في الاسبوع في مسرحه الانيق (الماريني) وتعرض مسرحية لغلدرود لها عنوان غريب : افراح جهنم تمثل نواحي مفزعة ومثيرة (ولعلها خيالية) في حياة رجال الدين . فان احد الرهبان في كنيسة بلجيكية يريد ان يحتل مركز راهب آخر فيقتله الا ان جثة القتيل تلاحقه ان ينزع من فمه خبز الضحية وليس من شك ان رواد مسرح الماريني الواقع في الشانزيليزيه قد استخطهم ذلك مع انهم لم يفهموا تماماً غاية الكاتب فاظهروا سخطهم بالصراخ الى درجة ان جان لوي بارو اضطر ان يوقف التمثيل في وسط المسرحية في المرة الرابعة التي مثلت فيها وان ينهي حيـاة المسرحية في الماريني . فما كان من الفرقة الفتية الا ان تنتقل الى مسرح الفيو كولومبييه في الحي اللاتيني حيث مثلت هذه المسرحية مع اخرى لنفس المؤلف عنوانها هوب سينيور حيث نالت نجـاحاً كبيراً ، واني اعترف باني حين ذهبت لمشاهدة هاتين المسرحيتين وجدت نفسي ازاء نوع جديد من المسرح يقتضي لفهمه التخلص من العادات التي اكتسبتها في مشاهدة المسرحيات الاخرى . وقد شبه بعض النقاد معركة الماريني بمعركة هرناني وقال آخرون انها فاتحة لحركة مسرحية من نوع جديد سوف تكون نتيجتها تغيير المقاييس الحالية للفن المسرحي وقلبها رأساً على عقب . وموضوع المسرحيتين له اساس ديني ومعنى فلسفي وليست المسرحيتان موجهتان ضد الدين باي حال من الاحوال الا ان ذلك ليس كل ما في الامر فحركات والفاظ هاتين المسرحتين عنيفة وجريئة . حتى انهـا تحير المشاهد المتعود على التحليل الهادىء للعواطف مهما بلغ عنفها وهذا العنف قد عودنا المسرح الفرنسي ان يحدثنا عنه على لسان احـد الابطال (كما في نهايات تراجيديات راسين مثلاً) دون عرضه امامنا . وقبل بضعة اسابيع عرضت نفس الفرقة مسرحية اخرى لنفس المؤلف عنوانها « سيرهالوين » في مسرح النكتمبول في الحي اللاتيني وهي دراما عنيفة تدور حول قتل عذراء متعطشة للحب لضابط يصطاد الفتيات ويقتلهن بعد قضاء وطره منهن وتعود الى عائلتها حاملة رأس الشاب بعد ان هربت باحثة عن الحب . ولغة المؤلف شعرية ساحرة مما يزيد في قيمة مؤلفاته . وفي هذه الاونة تعرض كذلك في مسرح الاوفر مسرحية اخرى لغلدرود تـدعى باراباس تعرض حياة المسيح على لسان المجرم الذي نجا من الصلب عوضاً عن المسيح . ويعدنا جان لوي بارو تمثيـل مسرحية اخرى لغلدرود في الماريني في العام المقبل .

ونجاح غلدرود برهان ساطع على ان المسرح الفرنسي في الحين الذي يبتعد عن المسرحيات الفلسفية لا ينحدر الى المسرحيـات السهلة ، وغلدرود هو الحل الوسط بين المسرح الفلسفي والمسرح السطحي ففي الوقت الذي يهز فيه الجمهور بالعنف والعاطفة يؤثر على فكره مستخدماً بذلك وسائل تعبير مسرحية صرفة وفي هذه المناسبة يجدر بنا ذكر مسرحية امريكية تلاقي نجاحاً كبيراً في مسرح « ادوار السابع » عنوانها « تراموي يدعى شهوة » ترجمها جان كوكتو عن الكاتب الاميركي تينسي وليمز وتقوم بتمثيـل الدور الرئيسي فيها ارلتي . والكاتب الاميركي يحاول ان يزج الشعر بالعنف وينجح الى حد بعيد .

والمسرح الفرنسي يكون بذلك مسايراً للعصر الحالي عصر العنف وفي نفس الوقت يكون شعبياً مفهوماً دون انحطـاط او تبذل . ان هذا الدرب قد انتهجه في الماضي شكسبير وموليير وغيرهما وليس ادل على ذلك من نجاح هذين الكاتبين فموليير لا زال سيد المسرح تمثل اعماله خير الفرق وفي هذا الموسم مثـل لوي جوفيه تارتوف ، والكوميدي فرانسيز — البخيل ، والنساء المتحذلقات ، في الوقت الذي تمثل فيه نفس الفرقة اوتيلو لشكسبير يمثـل بارو هاملت . فالمسرح الفرنسي يبحث في الماضي والحاضر عن المسرح الخالص دون الالتفات الى النظريات الفلسفية او السياسية .

باريس

نعيم قطان

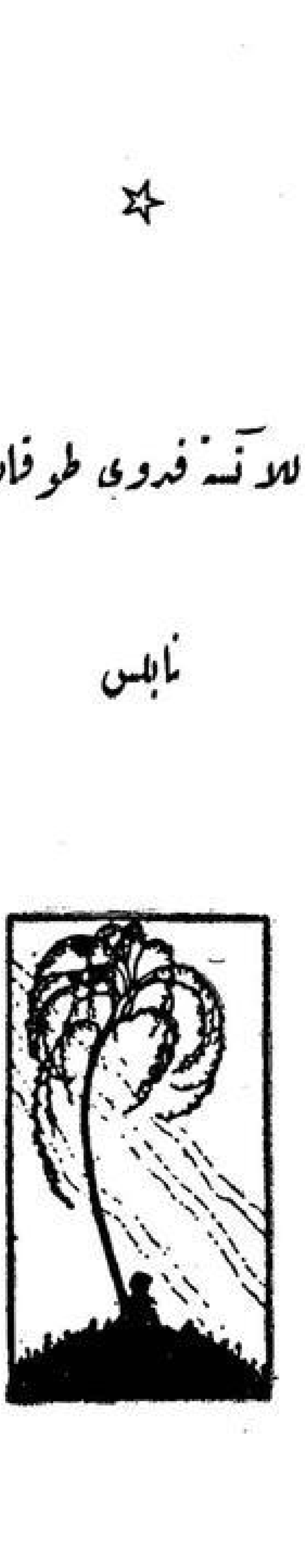
مع المروج

هدية الى روح « علية » رفيقة
ايام الصغر ، لعلها تذكر ، وهي
في السماء ، امسياتنا الحالمة بين
المروج والعيون والبساتين .

☆

للآنسة فدوى طوقان

نابلس



هذي فتاتك يا مروج ، فهل عرفت صدى خطاها
عادت اليك مع الربيع الحلو يا مثوى صباها
عادت اليك ولا رفيق على الدروب سوى رؤاها . .
كالامس ، كالغد ، ثرة الاشواق . . مشبوباً هواها .

هي يا مروج السفح مثلك ، انها بنت الجبال
« جرزيم » روى قلبها وسقاه من خمر الخيال
درجت على السفح الخضير على المنابع والظلال
روحاً تفتح للطبيعة ، للطلاقة ، للجمال !

روحاً شفيفاً رققته لطافة الجو النضير
ومفاتن السفح الغني ، وخضرة الوادي الشجير
روحاً رهيف الحس ، متقد العواطف والشعور
يهوى الجمال ، يعب ، لا يروى ، من الفيض الكبير !

قد جئت ، ها انا ، فافتحي القلب الرحيب وعانقيني
قد جئت اسند ههنا رأسي الى الصدر الحنون
واظل انهل من نقاء الصمت ، من نبع السكون
فهنا بحضنك استريح ، اغيب ، اغرق في حنيني . .

وهنا ، هنا ، في جوك المسحور ، جو الشاعريه
كم رحت استوحي الصفاء رؤى خيالاتي النقيه
فتضمني في غفوه الالهام اجنحة خفيه
تسمو بروحي فوق دنيا الناس ، فوق الآدميه

كم رحت ارقب في انجذابي طلعة القمر الرهيف
متوحداً ، تلقي الغيوم عليه هفهاف السجوف
احلامه الفضية انتشرت على الافق الشفيف
بيضاً كاحلامي . . نقيات ، مجنحة الطيوف

كم رف قلبي يا مروج لكوكب الراعي الخفوق
سبق النجوم الى الطلوع وراح فى الافق السحيق
يصغي ، كما تصغين انت معي ؛ الى الصمت العميق
ونذوب مندمجين ، متحدين بالكون الطليق !

اواه لو افنى هنا في السفح ، في السفح المديد . .
في العشب ، في تلك الصخور البيض ، في الشفق البعيد . .
في كوكب الراعي يشع هناك ، في القمر الوحيد . .
اواه ، لو افنى — كما اشتاق — في كل الوجود ! . .

تأملات في الفن والحياة

بقلم يوسف الشاروني

كنت اقرأ اليوم الكتاب الذي كتبه غاندي عن بدء حياته وكفاحه في جنوب افريقيا وكان اهم ما اثارني هو حديثه عن سيطرة الروح، عن هذه الحرية التي يتمتع بها مع نفسه، لم اكن أومن باساليب الرجل لكنه وضح لي ناحية طالما شغفتني منذ زمن بعيد. ان العبد وان كان هو وحده الذي يستطيع ان يحارب بحماس اكثر في سبيل الحرية، الا انه لا يستطيع ان يفعل هذا الا بعد ان يحرر نفسه اولا، فثمة حرية اجتماعية وثمة حرية نفسية، والحرية كل لا يتجزأ فاذا نحن طالبنا بحرية فلتكن حرية كاملة غير مجزأة، حرية اجتماعية ونفسية معاً ؛ يجب ان نتحرر من الضغوط الاجتماعية التي نعانيها في حضارتنا، لكن من يحارب في سبيل التحرر من هذه الضغوط لا بد ان يكون قد حرر نفسه اولاً، والا فان فكرة الكفاح من اجل الحرية لن تخطر له ببال. لا بد ان يكون قد ذاق لذة الحرية اولاً في نطاقها الفردي لكي ينتقل بها الى نطاقها الاجتماعي، لا بد ان يكون قد تحرر من الخضوع لعادات لا يؤمن بها في حياته حتى يستطيع ان يتحرر من الضغوط الاجتماعية ويحرر الآخرين معه. ان كل من مارس عادة يتألم منها لمجرد احساسه بانها اصبحت تفرض نفسها عليه، وما اكثر العادات التي تفرضها علينا حضارتنا في هذه المرحلة من التاريخ تبعاً لطابعها الآلي الذي يتطلب السرعة والدقة. اقول ان كل من مارس عادة وتألم منها ثم تخلص يوماً واحداً، واحداً فقط، فانه يشعر بلذة عميقة عميقة. اما اذا استطاع ان تكون له السيطرة على ان يبعد الفكرة نفسها عن عقله فانه يكون قد بلغ مرتبة القداسة.

نحن لا نجد هاملت في الحضارة الاغريقية، بل لا نكاد نجده في القرن السابع عشر الذي خلق شخصيته، وانما هو نبوءة لم تتحقق الا فيما بعد، منذ القرن التاسع عشر، حين عبرت عنه بعض الآداب لا سيما في القصص الروسي حيث انتشرت شخصية المثقف الذي يقف موقفاً مذبذباً من مختلف التيارات والمذاهب لانه في طبقة متذبذبة بين الصعود والهبوط، شخصية المثقف الذي يرى نفسه اسمى من غيره لانه حساس قلق لا يؤمن بشيء ايماناً واضحاً ويلقب المؤمنين بمذهب ماسذجا، ويرى في نفسه الانسان الممتاز الذي قدر عليه ان يقف من هؤلاء موقف المتفرج والمتألم معاً.

وقد ادرك بثقافته المتسعة ان الايمان والوضوح اللذين كان ينشدهما عن طريق الثقافة والقراءة لم يصلا به اخيراً الا الى شك في كل شيء، وفي خير الحالات الى الوقوف من الآراء موقفاً نسبياً حذراً ناقداً. وهو يعلم ان الحاضر كله مضطرب لانه بلا قيم موضوعية، بعكس ما يرى الآخرون الذين يستمدون ايمانهم بمذاهبهم من اعطائها قيما موضوعية، بمعنى الشمول والضرورة على الاقل. اما المثقف فهو يكاد ينتهي الى ان القيم تكاد تكون كلها شخصية، فهي لا تختلف من زمان ولا من مكان فحسب، بل من شخص الى آخر حيث يوهم الاتفاق على اسم ما بأنه يؤدي الى اتفاق على قيمة ما، بينما الاتفاق في الواقع هو في اللفظ فحسب والاختلاف موجود في محتوى اللفظ او معناه او تفسيره وفي النتائج المترتبة عن ذلك كله.

والمثقف — في مجتمعنا — يدرك ان الآخرين في هذه المرحلة من التاريخ عليهم ان يتجهوا نحو الماضي او نحو المستقبل — كما يقول سبندر — حتى يستطيعوا الحصول على قيم ما. ولعل هذا هو سبب من اسباب ظهور مذاهب مثل الفاشية التي تمثل اتجاهاً عاماً نحو الايمان بقيم الماضي، والاشتراكية التي تمثل اتجاهاً عاماً نحو الايمان بقيم المستقبل، اما الحاضر فقد فقد قيمه المستمدة من ذاتيته.

وعادة، يتتبع المثقفون حياتهم، ذلك لان المثقف في حاجة الى القراءة بطبيعة موقفه، ومن يقرأ يعتزل المجتمع في كثير من الاحايين، والاعتزال عن المجتمع يعطي الفرصة للتأمل الذاتي. فالمثقف لا يقرأ الا لكي يوضح نفسه ويجدها فيما يقرأ. لذلك فهو يتأمل بنفسه ويبحث عنها في كل سطر من السطور التي نقرؤها. ولذلك فهو حتما سيكتشف الوضع الذي اصبح فيه.

والمثقفون في مجتمعنا من الطبقة الوسطى، فالفقراء ليس لديهم من الوقت ولا من المال ولا من فراغ البال ما يتيح لهم القراءة المستمرة المنتظمة التي تخلق فئة المثقفين، بل غاية ما يصبو اليه بعضهم هو ما يسمى « بالاطلاع ». كذلك لا يجد الاثرياء دافعاً قوياً يحفزهم على القراءة، فهم مشغولون بعض الوقت بأعمالهم واموالهم وهم مشغولون اكثر الوقت بملاهيهم، وينظرون الى القراءة باعتبارها لوناً من الوان اللهو، وهم يفضلون الواناً من اللهو اكثر متعة من القراءة. اما الطبقة الوسطى فهي بحق طبقة المثقفين، هي التي تتلقى الثقافة وهي التي تقوم بدور المثقف، سواء أكانت تعبر بذلك عن طبقتها ام عن طبقة الحاكمين ام عن طبقة المحكومين. وهذا الوضع الطبقي المذبذب، الى جانب الاطلاع المستمر على مختلف التيارات المتناقضة، الى جانب عدم وجود قيم للحاضر، الى جانب التأمل الذاتي المستمر.. كل هذا قد جعل من حياة الكثيرين منهم حياة خراب حقة.

فهم يرون فقر الفقراء، وهم يتألمون لذلك، وربما بينهم من كان من ابناء هذه الطبقة يوماً. لكن لا يحدث لاغلبهم ان يبيتوا ليلة بلا طعام او بلا ملبس او بلا مسكن. ولكن وضعهم الاقتصادي كثيراً ما منع بعضهم عن الذهاب الى متحف ما او شراء كتاب ما او السفر الى جهة ما.. وهم يرون فحش الثراء ويعرفون اي تمتع يتمتع به الاثرياء، لانهم بحكم طبقتهم الوسطى، يتمتعون كذلك بانحناءات بعض الخدم او ببعض الالقاب التي يسبغها عليهم افراد الطبقة الفقيرة، ويتمتعون بالهيبة والوقار اللذين يحفانهم كلما دخلوا مكاناً شديد التواضع، هم اذن لم يعانوا الفقر حقاً، ولم يكونوا من كبار الاغنياء يوماً، في مجتمع يريدهم اما ان يدعوا الى النهوض بمستوى الطبقة الاولى، واما ان يبوقوا للطبقة الثانية، كأنما عليهم ان يرتدوا غير ثيابهم، فليس ثمة قيم للطبقة الوسطى لها الطابع الموضوعي. لهذا لا يجدون في اكثر الاحايين دافعاً ذا خطر يحفزهم على المدافعة عن الفقراء والعمال، فما هم منهم، حتى ليحسوا احياناً بانهم فضوليون في قيامهم بمثل هذا الدفاع، ولا هم يحسون اخلاصاً حين يدافعون عن الطبقة السائدة لانهم يعانون من وجودها. فهم ليسوا اجراء وهم ليسوا احتكاريين، بل هم غالباً ما يكونون اصحاب مهن لها بعض الاستقلال كالمحاماة والطب، تمكنهم من ان يستغلوا فريقاً من الناس حيناً، وان يستغلهم فريق من الناس حيناً آخر. ولما كانت هذه المرحلة من التاريخ تشبه عاصفة اجبرت الافراد على الخروج من مساكنهم كي يشاركوا في مختلف التيارات

فقد غدت الحياة الانعزالية التي يحاول ان يحياها المثقفون، والفنانون منهم على وجه الخصوص، هي حياة خراب تامة. وقد لا يجدون لذة الا في التعبير عن خراب حياتهم وحيرتها كما فعل كثيرون من الشعراء والكتاب والفنانين في هذه المرحلة من المجتمع، ولذا فهم يستلهمون من الحزن اكثر مما يستلهمون من الفرح، حتى كدنا نعتقد - لكثرة ما رددوه - ان الالم مفروض على كل عبقري، وان الوحدة دليل النبوغ.

والمثقفون بقدرما يحسون بالخراب في حياتهم، بقدر ماينشدون الطمأنينة، رغم ان مجتمعنا لا يعطيهم الا بالقدر الذي يقلقهم. فيتمنى بعضهم ان يكون احد افراد الطبقة الفقيرة كي يشارك في كدحهم وبؤسهم، ويتمنى البعض في لحظات قلقهم الخطرة لو كانوا ينتمون الى الطبقات السائدة. ومن ييأس من هذه المداعبات يحاول ان يعطي لوضعه المذبذب القلق الخرب قيما موضوعية، وكأنما الصورة التي كونتها ثقافته وطبقته هي الصورة الحقيقية الخارجية للعالم الذي يحيط به.

واولى هذه المحاولات هي ان يرى في قلقه دليل السمو على الآخرين، ودليل حساسيته التي بها يتميز. وما دام هو متميزاً فقيمه هي وحدها القيم الحقة. وهكذا تبدأ الخطوة الاولى لتعقبها خطوات في تمجيد العزلة والهموم والالم واعتبار الرجل الاجتماعي رجلا عادياً لا يثير اهتماماً ولا يحمل عبقرية. ذلك لان منابع الحياة الغنية قد انتقلت في الواقع من يده الى يد فئات اخرى.

ان التعبير ليس هو التقاط الكلمات، فكما ان الحرف لا وجود له في عالم المعنى، كذلك الكلمة الواحدة لا وجود لها في عالم التعبير، وكما ان الحرف ليس سوى الوحدة الضرورية لتكوين الكلمة، كذلك الكلمة ليست سوى الوحدة الضرورية من اجل تكوين البناء التعبيري. ان البناء جزء جوهري من التعبير، تماماً مثل الكلمة.

وهؤلاء الذين يحسبون انهم يقتربون اكثر واكثر من الحقيقة النفسية بمجرد سرد الكلمات تباعاً، يصلون الى نتيجة تعبيرية فاشلة. فاذا كانوا يريدون الالتصاق التام من الحقيقة الشعورية التي تصطخب في الداخل فما عليهم الا ان يلمحوا في صمت تتابع هذا الضجيج النفسي الهائل الداخلي. اما وقد اذنوا لانفسهم ان يبتعدوا عن صورته النفسية المطلقة بوضعه في حروف اللغة، او في اداة حسية اياً كانت فعليهم ان يواصلوا مهمتهم حتى النهاية ولا يقفوا في

منتصف الطريق . . . عند الكلمة .

ويخيل الي ان فهم هؤلاء للتعبير انما هو فهم غامض، لقد حسبوا ان الكلمة والتداعي اللامترابط للكلمة اكثر اخلاصاً ، واننا باذعاننا للبناء الفني نبعد عن الحقيقة النفسية وواقع اللاشعور الانساني . والواقع اننا من اللحظة التي سلمنا فيها بضرورة التعبير كنا قد سلمنا بابتعادنا عن الوضع النفسي كما هو ، ولكن اختلط الامر علينا في الطريق الى ذلك ، فجعلنا من الوسيلة – وهي الكلمة – غاية . فلا نحن صمتنا وتركنا الواقع النفسي كما هو، ولا نحن وصلنا بالتعبير الى نهايته في بناء متكامل .

ومن ناحية اخرى يرجع هؤلاء الى الفكرة الافلاطونية في اعتبار ان الفن تقليد ، كل ما هنالك ان موضوع التقليد انتقل من العالم الخارجي الى العالم الداخلي . ولكن باختراع آلة التصوير والشريط المسجل ظهر ان التقليد ليس هو الفن ، بل يمكن ان تختص به الآلة عن الانسان ، اما الفن فهو عمل انساني . وما يميز بين التعبير والسرد هو ان الاول ذو بناء والثاني بلا بناء ، وان الاول يجعل الكلمة وسيلة الى بناء عام والثاني يقف عند الكلمة وارتباطها باصولها اللاشعورية . ان الذي يُدفع الى صياغة الكلمة معبرة عن شعور ما ، هو نفسه الذي يدفع الى اقامة بناء من هذه الكلمات واذا كانت الكلمة تقوم بنشاط في عملية الوعي ، فان عملية البناء هي صورة اعلى من صور هذا الوعي . فاذا وقفنا عند خليط الكلمات او الالوان او الاصوات باعتبارها اقرب الى تقليد الواقع المختلط ، فاننا نكون بذلك قد توقفنا في منتصف الطريق عن اتمام عملية التنظيم الواعي التي كنا قد بدأنا بها ساعة اندفعنا في صياغة مشاعرنا النفسية في ادوات تعبيرية ، حسية ، وبمعنى آخر فان الخليط النفسي يظل غامضاً حتى يتبلور حول رمز فيتضح بعض الشيء ، فاذا اقمنا رمزاً من مجموعة هذه الرموز اللغوية او اللونية او الصوفية كنا اقرب الى الوعي . وبهذا لن نعود نعتبر الفن تقليداً ولا لعباً بل هو صورة من صور المعرفة الانسانية . فاذا ظللنا نقف بالعمل الفني عند الفهم الافلاطوني باعتباره محاكاة ، فان كل صور النقد الافلاطوني للشعر والرسم ستظل منصبة عليه ، كما اننا سنظل نقف حيارى امام هؤلاء الذين اندفعوا في خليط من الكلمات والالوان التي لا ترابط بينها زاعمين انهم يقتحمون مجالات ثورية في الفن : وهم في واقع الامر قد انطووا على انفسهم ، معبرين بذلك عن روح الحضارة الآفلة التي تجزع من المعرفة الانسانية لانها تكشف عما فيها من انحلال في الوقت الذي تكشف فيه عن نشوء مجتمع جديد .

ان فهمنا للفن باعتباره صورة من صور المعرفة الانسانية هو وحده الذي يبين لنا ضرورة وجود العمل البنائي المتكامل من اجل الوصول الى عمل فني تام، وهو وحده الذي يستطيع ان يؤدي الى التعبير عن العلاقات الاجتماعية كما يعبر عن الخلجات النفسية ، حيث ان العلاقات الاجتماعية تقوم بالضرورة على اساس من الترابط والانتظام وحيث ان الخلجات النفسية لا يمكن الوعي بها الا من خلال الترابط والانتظام ، واخيراً فهذا الفهم هو وحده الذي يعطي للفن صفته الايجابية المغيرة ولا يعود مجرد دلالة على هروب وانطواء .

وليس ثمة فصل بين القالب والفكرة في العمل الفني ، فهذا الفصل ليس الا نتيجة لفلسفة مثالية فصلت من قبل بين الفكر والفعل وبين الروح والجسم ثم زحفت على الفن تريد ان تفصل بين الفكرة والقالب او كما ظهرت لدى العرب بين اللفظ والمعنى . فالفنان حين يبدأ تعبيره لا تكون لديه فكرة ثم يبحث لها عن قالب يركبها فيه حتى يعثر على النموذج المناسب ، انه حين يبدأ تعبيره يبدؤه في « كل » وقد يكون هذا الفصل فيما بعد من شأن الناقد الفني او الفيلسوف كوسيلة من وسائل توضيح العمل الفني ، لكن الا يجب الا يعود هذا الفهم الذي كان مجرد وسيلة نظرية للايضاح ، فيصبح هو الحقيقة . وعدم الفصل بين القالب والفكرة يوضحه لنا فهمنا للفن باعتباره صورة من صور المعرفة ، فالفكرة تخلق قالبها من اجل ان تنتشر فيه وتتضح منه ، بحيث ان الفكرة والبناء يكونان شيئاً واحداً .

اما عامل الترابط بين وحدات البناء فهو الحوار . فبمجرد وجود وحدات اللغة او الالوان او الاصوات ينبثق الحوار ، وميزة الحوار انه يربط بين الوحدات في الوقت الذي تعبر فيه كل وحدة عن طريقة تمايزها عن الوحدات الاخرى وهكذا فان الحوار هو الذي ينقل وحدات الخليط الفني من حالتها السكونية الى حالتها الحركية فيشيع بينها الحياة ، ومعنى الحياة كما نفهمه هو وجود نوع من الترابط المستمر وسط التغاير المستمر . والحوار يصخب او يهدأ تبعاً لمدى الاختلاف بين الوحدات ، فلونان متمايزان صارخان يخلقان بينهما حواراً عنيفاً ، ولونان هادئان متقاربان يربط بينهما همس عذب رقيق .

اما الفرق بين العمل الفني والنقد الفني فهو لا يتعلق بالمعرفة في ذاتها ، بل هو متعلق بالتأمل كما يقول كروتش ، فالفنان لا يتأمل عمله الفني والناقد هو الذي يقوم بهذه المهمة ، ومهمة التأمل انها تكشف عن مدى المعرفة التي قدمها لنا العمل الفني .

الخرطوم — يوسف الشاروني

البرقية

لوليم سارويان

ترجمها عن الانجليزية **مبارك ابراهيم**

●

نزل هومير ساعي التلغراف عن عجلته امام بيت السيدة روزا ساندوفال ثم توجه الى الباب ودقه دقاً خفيفاً وكأنما قد ألهم ان في البيت من يسكنه . وهو وان لم يكن قد سمع شيئاً . فانه كان واثقاً ان دق الباب قد جعل مخلوقاً يقترب من الباب وكان به شوق شديد لان يرى من يكون هذا المخلوق .

ولم يكن هذا المخلوق الا السيدة روزا ساندوفال التي كان مقدراً عليها ان تسمع ساعتئذ عن حادث قتل حدث في العالم . كما كان مقدراً عليها ان تحس بأثر هذه الفجيعة، فجيعة القتل في ذات نفسها .

وكان الباب ينفتح في بطء شديد وكأنه يتثاءب ويتمطى . وكأن تلك السيدة التي جاءت تفتح الباب لا تحس خوفاً ولا قلقاً .

وبدت السيدة المسكينة في عيني الساعي مليحة جميلة . وقد احس من النظر اليها انها كانت طوال حياتها ممن تواصين بالصبر . وقد جعلها التجمل بالصبر تبدو وعلى شفتيها ابتسامة القديسين الاتقياء . ولكنها ذعرت ذعرا شديداً وبدت الهواجس المخيفة تنتابها عندما رأت الساعي يحمل اليها برقية .

وعرف الساعي ان السيدة قد تولاها الفزع لمرآه . وقرأ في عينيها انها عرفت ما تحمله البرقية من نبأ سيء .

وقالت السيدة : انك تحمل برقية ؟

وقبل ان يجيب قال مناجياً نفسه : ان الذنب ليس ذنبي وانما هو عمل أؤديه ، واتخذ عليه اجراً . ولكن على الرغم من هذا التعليل المنطقي بدا له وكأنه شريك في الجريمة . واحس بانه شخص ثقيل سمج . وكأنه المذنب ولا مذنب غيره . ولكنه رأى ان لا بد من السكون الى الحقائق وترك الخيال جانباً فقال : انما انا يا سيدتي ساعي تلغراف . واني ليحزنني ان اكون الرسول الذي يحمل اليك مثل هذه البرقية . ولكن لا حيلة لي في هذا . انه عملي الذي أؤجر عليه .

قالت : ولمن هذه البرقية ؟

— انها للسيدة روزا ساندوفال الكائن بيتها في هذا الشارع ثم مد يده بالبرقية ولكنها لم تمسسها . .

— أأنت يا سيدتي السيدة روزا ساندوفال ؟

— نعم وارجوك الدخول . اني لا اقرأ الانجليزية . انما اقرأ المكسيكية ذلك لانها لسان قومي . ثم توقفت قليلا ونظرت الى الصبي وهو واقف وقد ملىء رعباً . وكان اقرب الى الباب منه الى داخل البيت . ثم قالت : ماذا تقول البرقية ؟ — انها تقول . . .

— بل فض الغلاف عنها وارفع الصوت عالياً .

— الامر لك يا سيدتي» وكان وهو ينطق بهذه الكلمات كانما يخاطب استاذه في المدرسة وهو يصحح له اخطاءه». ثم فض الغلاف باصابع مضطربة . فانحنت المرأة لتلتقط الغلاف الممزق وحاولت ان تسوي ما تغضن منه، ثم قالت : ومن مرسل البرقية؟ اهو ولدي جوان دومنجو ؟

— كلا يا سيدتي ان البرقية قد بعثت بها وزارة الحربية .

— وزارة الحربية ؟ ولماذا ؟

فأجابها في سرعة من يريد ان يفرغ من اداء واجبه: ان ولدك قد قتل ! وقد يكون هذا النبأ كاذباً . فكل نبأ يحتمل الصدق والكذب . . وقد يكون الذي قتل واحداً غير ولدك . . والبرقية تقول ان اسمه جوان دومنجو ولكن قد تكون برقية فيها خطأ !

قصة

فتظاهرت المرأة بانها لم تسمع وكأن نزول خبر الفجيعة قد

صورة وصفية

روبرتا

بقلم وديع فلسطين

☆☆☆

اثنتا عشرة سنة خلت منذ عرفت الفاتنة الاميركية «روبرتا»، ولكن وجهها ما صافح وجهي ، وعينيها ما حيتا عيني ، ولسانها ما خاطب لساني ، ويدها ما لامست يدي . ولكنها مع ذلك صديقة اثيرة تركت في النفس عميق اثر . وفعلت بجميل صحبتها فعلا لا تمحوه الايام. وستكون « روبرتا »، ما حييت، قطعة من نفسي وبعضاً من وجداني لانهـا استهلت صداقتها والحرب في ابانها ، وواصلت حبل مودتها والحرب في عنفوانها، وانتهت فورات القتال ولكن صداقتها ما عرفت منتهى لانها ولدت وثيقـة ، ونمت رغم الصروف ، واطردت على كر الايام ، وغدت اليوم ، انشودة من اناشيد الفؤاد يرددهـا صامتاً اذا شاء، ويسمع الآخرين صدى نغماتها اذا شاء، ويعطر باريج سيرتها تجاويف الحياة.

رحم الله ذياك الصديق الذي اتاني يوماً يقول : اتريد صديقة بالمراسلة ؟ قلت : اجل ، فكل صداقة تهذب النفس ، وكل معرفة تغذي العقل ، وكل فاتنـة تعزي الافئدة ولو من ابعاد مترامية .

قال : هاك عنوان « روبرتا » ، فهي لما تخرج الى معترك الحياة ، هي تدرس التجارة والاقتصاد في احدى كليات « ايوا » وهي طامعة في مكاتبة صديق مصري يحسن محادثتها بلغتها .

قلت : وسأكتب لها اليوم .

وكتبت . وجاءني الرد يتهادى . ثم كتبت ، وتلقيت اجوبة وظللنا نؤثـل المودة بالمراسلـة ، ونتبـادل الآراء بالكتب، فتحدثني عن بيت من طراز فريد تعيش فيه مع اهلها ، وعن عادات الفتها والفها ابناء جلدتها ، وعن هوايات تأخذ بمجامعها وعن رحلات تقطع فيها بلادها شرقاً وغرباً ، وعن طبيعة قلب لا تعرف الاستقرار ،

اذهلها فأصمها — وقالت : ادخل يا بني . ولسوف آتيك ببعض الحلوى . وامسكت بذراعه واجلسته على المائده وهي تقول : ان كل الصبية يحبون الحلوى . وذهبت الى غرفـة اخرى وجاءته بصندوق من الشكولاته . فلما نظر الساعي الى الصندوق الفاه يحتوي صنفاً غريباً من الحلوى . فأخذ قطعة وبدأ يلوكها .

ثم قالت له المرأة : ليس يصح عندي — وأنت كما ارى ولد طيب — ان تجيئني بخبر يسوءني . انك تبدو في صورة ولدي «جوانيتو» يوم كان صغيراً . فكل قطعة اخرى . وظل الساعي يأكل والمرأة تتكلم . ثم قالت له : هذه حلوانا نصنعها بايدينا . واني اعددتها لولدي « جوانيتو » القاه بها يوم يعود . فكل منها فانك انت ولدي ايضاً .

ثم افاقت بغتة من ذهولها . وبدأت تبكي وتنتحب . ثم امسكت عليها دموعها كأنها ترى البكاء عيباً . واراد الساعي ان يخرج ولكنه عاد فرأى ان يبقى . وفكر فيما ينبغي عليه ان يعمله ليجعل المرأة اقل شقاء . وظن ان لو طلبت اليـه المرأة ان يصبح ابنها لما استطاع لطلبها رفضاً . ثم نهض واقفاً وهو يناجي نفسه بقوله : ماذا استطيع ان افعل؟ وما انا الا ساع من سعاة التلغراف .

ثم ما لبثت المرأة ان ضمته الى صدرها وهي تنادي : ولدي ! ولدي !

وغشت نفس الفتى لمرأى الام الثاكلة . وتمثلت لعينيه صورة الاحياء جميعاً وهم يولدون ويموتون . ثم رأى بعين خياله هذه المرأة في صباها وهي تحنو على وليدها . وتهز سريره . وهي تغني له . فينام على عذب الحانها . ثم نظر اليها وهي ثاكلة لهذا الوليد .

ثم غادر الدار مسرعاً . وامتطى عجلته . وما ان بلغ مكتبه حتى رأى الناس حوله كل يمشي في سبيله قدماً . وكل غافل عما مضى في هذه الدنيا وما يُتوقع .

ثم قال مناجياً نفسه : يجب علي ان ازاحم بمنكبي في هـذه الدنيا . والا كنت من الهالكين . وكلما كانت تعـاوده هذه الذكريات كان كأنه يتمثل بقول ابي العلاء :

إن حزناً في ساعة الموت اضعا ف سرور في ساعة الميلاد . . .

القاهرة — مبارك ابراهيم

وعن معاهد تبيح مجالسة الفتية والفتيات ، وعن آفاق فكرية عرضت لها ، وعن فلسفات في الحياة استبهمت امامها ،وعن طارق يدق باب قلبها ، وهو طارق الحب .

حدثتني « روبرتا » احاديث ما اعذبها ولا تزال رسائلها تعمر خزائن كتبي . وناقشتني شؤوناً تباينت مناحيها، فتحدثنا عن الحياة واسرار الكون ، وتحدثنا عن الحرب وكيف خاضها شقيقها في الميدان الباسفيكي ، وتحدثنا عن الزواج وكيف يخلق بيوتاً سعيدة ، وتحدثت هي عن عملها كثيراً . فآناً هي تعمل في وشنطن العاصمة موظفة في الحكومة ، وآناً تأتيني رسائلها من هونولولو حيث عبرت المحيط لتعمل في مكتب من المكاتب الملحقة بالجيش ، وآناً اتلقى بريداً من كليفورنيا يحمل الي نسمات الطبيعة السخية . فأينما حلت ، كان اول ما تفكر فيه هو ان ترسل خطاباً الى صديقها المصري ذي السحنة السمراء ، وحيثما نزلت كان حديثها مع من تلقاهم عن ذلك الشاب الذي ارتبطت معه عبر محيطات وجبال واودية وانهر وهضاب .

وتبادلنا الدعوات، فهي تقول : لقد اتاني هاتف بالليل يبشرني انني سألقاك في ارض الدنيا الجديدة فهيا اقبل لتحقق الرؤى .

وارد على روبرتا قائلاً : بل ان مصر مشوقة لفتاة مثلك لا تزال تعيش في دنيا رتيبة . ففي الشرق سحر لا تقوى الاقلام على وصفه، وفي النيل مرئيات لا مثيل لها، وفي الاهرام — غير بعيد من مسكننا — مجد مخلد على الدهور ، وفي السماء الصافية شبع وري ، وفي الحضرة المرسلة بلا حد هيبة توحي بالتقديس . فأقبلي الى ارض الفراعين، لتري شعباً يجاهد ، وتري نهضة جمعت بين حضارة المشرق ومدنية المغرب . تعالي فلن تكوني غريبة في واد للنيل خصيب .

وكلما دارت عجلة العام ، وحل عيد الميلاد، ذهبت روبرتا الى مكتبة مجاورة واشترت بطاقة ذات معان لترسلها الى الصاحب في نصف الكرة الشرقي . واذ أقلب اليوم بطاقاتها ارى وراء الصور والرسوم مجالا للتعليل والتفسير . فهذه صورة «دارة»* على مرتفع، لا يحيط بها سوى بستان كثير الكرم والفاكهة ، والجو في الفضاء رائق موات، الا ما اجمل هذه البقعة يمضي فيها اثنان ايام عمرهما فتستحيل الحياة جنة على الارض .

وهذه صورة مركبة انيقة يجرها جوادان، ويركبها رفيقان انها تسير وتسير والخيل تركض وتركض، وليس في الدنيا ما يعكر على القلبين صفو ودادهما . ترى ، لمَ لا نكون نحن راكبين لهذه المركبة الهادرة ؟

وهذه صورة قمر يسطع في كبد السماء، يطل على واد منبسط مزهر، وهناك في ركن قصي جلس اثنان مشمولين بعطف الطبيعة، مأخوذين بنشوة الحب . ترى، أيفضُلاننا هذان الانسانان ؟

وثمة صورة سفينة شراعية، فريدة على صفحة اليم الساجية، فلم لا يكون هذا القصر العائم فلكاً لقلبين تعارفا على البعد ، وتصادقا عبر آلاف وآلاف من الفراسخ والعقد البحرية ؟

فما كانت «روبرتا» تختار صورها اختياراً سريعاً عارضاً، بل كانت تتخيرها بعد جهد لتؤدي معنى واحداً وان تعددت زواياه . وبين اضابيري استطيع اليوم ان احصي اثنتي عشرة بطاقة تلقيتها في اثني عشر عاماً من روبرتا عشيرة القلم، وصديقة المراسلة، التي لم ترها عينا الرأس ، بل رأتها عينا القلب .

واذا كانت للنفس امنية ترجو ان تحققها قبل ان تنطلق لرؤيا خالقها، فهي ان تحظى بلقاء « روبرتا » ، لانها عرفت كيف تسكب حياتها سكباً على صفحات الرسائل، وكيف تجعل النائين عنها يعرفون من امرها ما قد يغيب عن اقرب المقربين اليها .

واليوم ، اين تكون الفاتنة الاميركية روبرتا ؟

انها زوجة ، وانها ام .

زوجة سعيدة ، ارجو لها ان تهنأ بزوجها كما جعلت غيرها يهنأ بصداقتها بضعة عشر عاماً

وام جليلة ، قد عرفت الحنان مع البعيد فكيف لا تعرفه مع القريب ، بل فلذة الكبد وفلذة الروح .

ورب سائل يسأل : ما هي فلسفتك في الحب ؟

فاقول : ان يهنأ الذين احبهم ، سواء كان لي ان اشاطرهم ذلك، او كان لغيري ان يحظى بتلك السعادة .

القاهرة — وديع فلسطين

---

* الدارة هي الفيلا .

على مشرف العين

☆☆☆

ها، حانتي، ما شاطئ دون حدّ دخانه الالحان، دف، الجمد
أداق على الحيرة في كهفها كل نديم ضاحك المعتقد
وانُفخ على الآزال من حاضر ضاع ازواء فيه وهم الابد

***

يقهقه الساقي بكلتا يديه في حانةٍ مبحوحة الشكر
تاريخه ساعة ارنو اليه ومقلتي مجنونة العهر
مروحة الزئبق من جانبيه تليحها عاصفة الخمر

***

الوانها اللاهفة يا أين اين
تشرّف اعيا على شاطئين
فالتهمي يا كأس شوق اليدين

***

واشرب على الساعة حتى ترى في لمحةٍ امجاد هذا الورى
لفافة تنداح لهثاتها من خصل الجن ولون الكرى

***

باريس انثى علقتها الدنى ثلجك في التزحام ما ادفأه
باريس يا كهفاً رهيب الخطى اوحشت لما ألق فيها امرأه
روحي على زورق حبٍّ رست لم تفوها تلك الدمى المطفأه
طيفٌ بلبنانٍ تعبّدته قلبي استوى في عاصفٍ مرفأه

باريس — علي محمد شاوي

غرام الملك لويس الثالث عشر

●

الصورة التي تركها المؤرخون والادباء للملك لويس الثالث عشر هي صورة ضعيفة باهتة يتضح لنا فيها خمول رجل عجز عن بلوغ الآمال الكبيرة فتحول الى اللهو والصيد، فهو كما صوره الشعراء في مسرحياتهم، والكتاب في آثارهم، ملك قليل الذكاء، محدود القوى، يعيش في ظل «الرجل الاحمر» الكردينال دي ريشيليو.

ولكن هذه الصورة اقرب الى الخيال منها الى الواقع، ولعلنا نجد، اذا القينا نظرة على حب هذا الملك، وفصول من حياته، بعض ميزات الشخصية الانسانية التي انكرها المؤرخون عليه، وقد تظهر في الحب اقدار الرجال !!

لم يكن لويس الثالث عشر يطيق التهتك والخلاعة، ولا يسيغ العلاقات الشائنة في البلاط، بل كان يقطب اذا جرى في حضرته حديث فكه وكأنه بهذا يخالف عمداً السنة التي سلكها والده هنري الرابع، في الحياة، وانه ليعجب بوالده اعجاباً كبيراً، ويشارك الفرنسيين في تمجيد بطولته وجرأته، وروحه المرحة الذكية وذهنه الوقاد، ومن الطبيعي ان لويس حزن حزناً عظيما عندما اغتال «رايناك» والده، بتلك الطريقة المروعة المعروفة، وكان لويس آنذاك في الثامنة من العمر، فحفظ في قلبه ذكرى هذه المأساة الحزينة، وانطوت نفسه على ألم ظل حتى نهاية حياته، حياً لاهباً.

ولعل مبعث ما يعزى الى لويس الثالث عشر من ضعف وشك واستكانة يعود الى اثر هذه المأساة التي المت به في طفولته، فظل على اثرها مريض الجسم والروح، وانفرد باحزانه وآلامه حين لم يجد احداً ليبثه لواعجه وخبايا نفسه القلقة المتألمة، فأخوه «غستون» يتآمر ضده في كل مناسبة، واخواته الفتيات رحلن عن المملكة الفرنسية: فصارت اليزابت ملكة على اسبانيا، وكريستين دوقة في السافوا، وهنرييت ملكة على انكلترا.

هذه الحياة، رغم انها حياة ملك، خالية من العطف والمحبة الحقيقية. اما الملكة، زوجته، فله معها قصة اخرى.

لم يكن زواجه بها مثالياً، اذ بدأ لياليه، في مخدع الزوجية، بشيء من التعثر والسذاجة، فكلاهما في الرابعة عشرة من العمر:

وبعد ثلاث سنوات من الحياة المشتركة، والصداقة، والجهد، تمكن الملك من ان يستميل قلب عروسه الجميلة. وفي هذه الاثناء، مرضت الملكة، واشرفت على الهلاك، ثم شفيت، فتحول قلق لويس الثالث عشر، الى بهجة وسعادة فنظم اغنية في مطلع ابريل ١٦١٩ تحس في معانيها وموسيقاها — اذ ان الملك وضع لها الموسيقى — موجاً من الحبور وفيضاً معبراً عن

ماري دي مدسيس والملك لويس وآن دوتريش





الملك في الثانية والعشرين بريشة روبنس

النفس الملكية العاشقة.

واستمرت علاقة العروسين الشابين مدة من الزمن، وحبهما يشتد ويتأجج حتى لاشاه اختلاف طبعيهما ووقوف السياسة في وجه غرامهما الناشئ الوليد. اما الصداقة، وفي رحب صداقته يستطيع الانسان ان يتخلص من الكثير من احزانه وحسراته، فلم يكن حظ الملك منها بأفضل من حظه في القربى والحب، ولكنه حاول ان يتخذ « لويس » — احد النبلاء — صديقاً، فاستغل هذا صداقته مع الملك في سبيل مصالحه الخاصة، الى درجة جعلت الملك يتخلى عنه في النهاية.

ولفت نظر الملك يوماً من الايام، جمال احدى وصيفات الشرف ماري دى هوتفور، وهي فتاة شقراء، تكاد تكون فريدة في جمالها بين سيدات البلاط، غير ان قساوة طباعها، كانت تخفف من وقع جمالها في نفس الملك القلقة الحزينة، ومع هذا فقد احس بميل شديد اليها، وان ظل متردداً حيالها. وفي رسائله الى الكردينال دى ريشيليو، نلمس هذا التردد واضحاً جلياً، فيقول عنها في رسالته « انها غاضبة في هذه الايام، وانني لا اجد شيئاً فيها يغفر قسوتها » وفي رسالة اخرى « انها تغيرت، وأمري معها في تحسن ».

وابتدأت علاقته المباشرة بماري دى هوتفور بمناسبة وعظ ديني في كنيسة القصر، في زحمة من رجال القصر من نبلاء وقواد، وجلست الوصيفات حول الملكة، على الارض، وحمل الملك وسادة حريرية وثيرة، وقدمها الى الآنسة ماري دى هوتفور.

وحاول الملك في مناسبات اخرى ان يتقرب من الآنسة «دى هوتفور» ولكنها كانت، في السهرات والحفلات الملكية، تنضم الى الملكة، في مجال التنكيت على الملك والكردينال.

والآنسة دى هوتفور بارعة النكتة، حاضرة البديهة، لاهية، عاتية، لا تتناسى شيئاً في سبيل مضايقة الملك الشاب وارضاء صديقتها الملكة.

وفاجأ الملك يوماً الصديقتين تتعاونان في كتابة رسالة سرية، وتجهدان لاخفاء مضمونها عنه، فاقترب مبتسما، تلوح على وجهه سمات الانتصار، وانتظر ان تناوله احداهما الرسالة. ولكن ماري دى هوتفور التقطت الرسالة بسرعة وأزاحت ثوبها بابهامها ودستها في صدرها، ثم التفتت الى الملك قائلة:

خذها الآن.. اذا قدرت.

وفطن الملك الى حيلة الفتاة الرامية الى زجه في مأزق مضحك، فتراجع بحركة ليست اقل اضحاكاً.

وهو في مناسبة اخرى، يصرح حول علاقته بالفتاة الحسناء في هذه الفترة، « لا ادري كيف اعاملها، انها حيرتني بدلعها وغنجها ».

ولم تقف هذه الفتاة المغناج اللعوب عند حد، فتضايق الملك منها، وخصوصاً بعد ان فشل في التأثير عليها، فطلب اليها مغادرة البلاط..

واحب بعدها الآنسة « دى لا فاييت » ولعل غرامه بها كان من اعنف غراميات حياته كلها.

كانت «لويزا دى لافاييت» سمراء صغيرة الجسم، زرقاء العينين، وهي كالآنسة «دى هوتفور» من وصيفات الملكة «آن دوتريش» و كان ابوها من قواد الجيش المخلصين للملك.

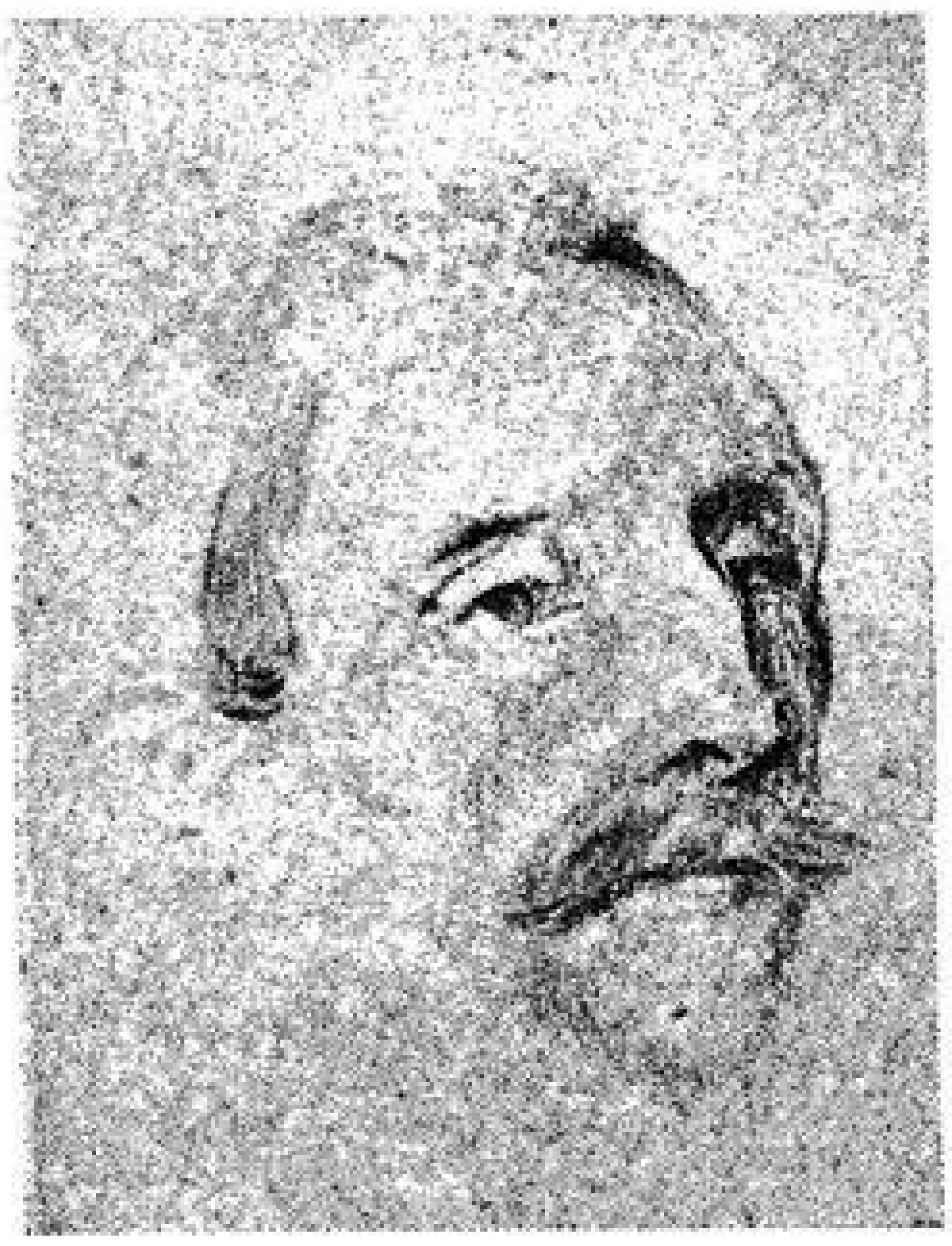
وقد تركت قصرها في الارياف، بعد ان انضم والدها الى الجيوش الفرنسية على الحدود الاسبانية، ولاحظ الملك في الفتاة التواضع والجمال الهادئ، وجملة من المزايا والخصال والميول التي تشبه الى حد بعيد ما فطر هو عليه من الطباع.

الدوق دورليان شقيق الملك بريشة فان ديك



فهي تشبهه في تدينها الشديد، وحبها للموسيقى، ونظرتها الرزينة الوجدانية الى الحياة. وكان من عادته ان يزور الملكة

بعد ظهر كل يوم ، في مخدعها ، وهناك يرى الآنسة « دى لافاييت » فينسى مشاغله وآلامه ، ويستمع الى غنائها وترانيمها بلهفة وحنان وسمح الملك ، للآنسة دى لافاييت ، بمرافقته الى الصيد ، في عدة رحلات ، وكذلك فقد سمح لها بمرافقة الملكة الى فرساي ، حيث بنى في تلك البقعة المجهولة حتى ذلك الوقت ، دارة ملكية جميلة ، من الحجارة البيضاء النقية ، متوجة بالقرميد الوردي تطوقها الغابات الخضراء الغنية بأنسامها والوانها .



ريشليو بريشة دي مولان

وازدادت الدارة جمالا وروعة في نظر الملك ، حين زارتها « لويزا دى لافاييت » للمرة الاولى . و رأى ان المنظر الفسيح المترامي قد اكتسب حياة لم تكن فيه ، فالسماء الشفافة ، وغيومها والارض الجرداء المرقشة بنتف من اكداس الضباب المبعثر ، ومياه الغدران الراكدة ، والسواقي المترغة الثملى ، والغابات المتماوجة حتى الافق ، كل هذه الاشياء الجميلة ، المتحولة المتغيرة ، والتي اعتادها الملك توحي الآن اليه ، وتموج حوله ، في العطر والنور ، طيف امرأة . فكأن مظاهر الطبيعة كلها ، تجتمع في خاطره ، همسات وانساماً واراجيج ، لتحتفل بغرامه الجديد .

هنـاك ، في ذلك القصر الصغير الجميل ، كان الملك الشقي العاشق ، ينفرد « بلويزا » ويبثها ، في الاصائل الحالمة المذهبة ، افكاره ، ويصرخ لها باعترافاته ، ثم توطدت العلاقة بينهما ، وتحولت الى حب ملتهب متين ، واكتشف الملك في حبيبته شيئاً لم يجده في احد من قبل : الاخلاص .

اما هي فلم تكن تنظر الى الملك كحبيب فحسب ، بل كفكرة تجمع الله والوطن في مدار واحد ، وما كانت تريد الاستئثار به ، بل اعانته على تحمل اعباء الحكم والسلطان وسرعان ما اصبح وجودها ضرورياً الى جانب الملك ولم تكن الفتاة ذات مطامع او اهواء ، فلم تطلب من الملك شيئاً لنفسها ، ولكنها اوصت الملك بالنبيل « بوزانفال » فقربه اليه وعينه في القصر الملكي . وسنرى كيف يكافىء هذا الشاب الآنسة « دى لافاييت » .

حبذ ريشيليو في بادىء الامر هذه العلاقة بين الملك والآنسة « دى لافاييت » مقدراً انها ستكون عوناً له على الملك ، اذا لم تكن جاسوسة .. ولكن الفتاة لم تبال بالكردينال ، ولم يخف عليه كرهها له ، لانها احس هذا الكره المستمد من الملكة ، بل من جميع طبقات الشعب الفرنسي .

ليس لويس الثالث عشر متخاذلا كما وصفته الاسطورة ، بل انه كان يشعر في الحقيقة شعوراً قوياً بكرامته رجلاً وملكاً ، وهو يدرس المسائل جميعها ، بحذر وحنكة ، ويوجه وزيره توجيها دائماً رفيقاً ، غير انه يضع مصلحة فرنسا ، وطنه ، فوق اهوائه ورغباته وخاصته وعشيقاته . ولذلك رأينا التاريخ يتخذ من هذه الحالة مجالا للتعليق والتخيل ، فكانت خرافة ريشيليو المتحكم العاتي ، الحاكم بأمره .

قلنا اذن ان « لويزا دى لافاييت » كانت على دين مواطنيها ، اي كره ريشيليو ، وتنبه الكردينال الى الخطر حين عينت « بوزانفال » ، دون استمزاجه ، في القصر الملكي ، واحس باحتمال سيطرة امرأة على الملك . وعلم بعدها ان سيده يسر الى صديقته ببعض اسرار الدولة ، فزاد خوفه وحذره ، وراح يتحين الفرص كعادته ، للقضاء على الفتاة .

قصر فرساي في عهد لويس الثالث عشر



وراحت هي من ناحيتها تنصح للملك باعتماد سياسة مغايرة لسياسة الكردينال، ورغبت اليه ان يقيل ريشيليو، ويستدعي الملكة « ماري دي مديتشي » من المنفى، ويصالح زوجته، ويقطع علاقاته بهراطقة المانيا البروتستانت .

في تلك الفترة من حياة فرنسا، كثرت المؤامرات ضد الكردينال ولم تكن عشيقة الملك غريبة عنها، فأحس الوزير الداهية ان في الابقاء عليها خطراً على سياسته -وحياته- فراح يوحي الى الملك بارسال لويزا الى الدير، واقنعه بان هذا العمل هو في مصلحة فرنسا، واثبت له -بطريقة ما- ان حبيبته تتصل ببعض الثوار والفوضويين.

ونشب صراع عنيف، في نفس الملك، صراع بين الواجب والحب كما في اشخاص كورناي .

وتآمر « بوازانفال » مع الوزير الكبير ضد ولية نعمته المسكينة فكان ينقل اليه الرسائل المتبادلة بينها وبين الملك واحست لويزا بالعاصفة تقترب، فانقلبت من محبة سعيدة واثقة الى امرأة متحفظة باردة، وخاصة حيال الملك .

واحزن هذا الموقف الملك حزناً شديداً، واحس بحبه يستيقظ من اعماق نفسه ووجدانه، آمراً قوياً، فراودته فكرة ملحة كثيراً ما تراود المحبين المخلصين: الهرب . . الهرب الى مقاطعة نائية في الريف، وقضاء ما تبقى من العمر في حياة غرامية هانئة، مع حبيبته المعبودة .

وقال الملك للويزا دي لافاييت :

— لويزا، انا احبك . فهيا معاً الى فرساي . وهناك نستطيع ان نحيا معاً وتكونين لي، وأكون لك، دون ان يحول بيننا شيء .

وروعت هذه اللهجة الفتاة، فجن جنونها، ماذا ؟ أيريد صاحب الجلالة ان يجعل منها عشيقته، هي الفتاة الطاهرة البريئة !ا هي التي تنظر اليه كانسان تتمثل فيه القداسة !

اذن ليس هو غير رجل حقير، مسكين، تحركه الرغبات، وتسهده الشهوة، ولكن أيرضى ضميره ان ينحدر بها، هي العذراء النقية، الى بؤرة الخطيئة والاثم والفساد .

وقر رأيها على الذهاب الى الدير، فصارحت الملك بذلك، فتأثر، ورجاها العدول عن رأيها، ثم علم ان واجبه نحو وطنه يدعوه الى السماح لها بالاختفاء من حياته الى الابد، وادرك ان الملك هو ابو الشعب، عادة، ومثله الاعلى، فسمح لحبيبته بالذهاب.

ولم يجرؤ على مقابلتها بل ارسل اليها من يبلغها الامر .

القِ معي يا اخي القارىء، نظرة على هذه الرسالة التي تؤرخ للحب المذبوح، للفراق بين الملك وحبيبته لويزا، انها رسالة محفوظة في متحف اللوفر، كتبها الملك الى الكردينال ولا زالت الدموع واضحة بين سطورها، ولا زال التبر - وكان الملك يستعمله لتجفيف المداد- يتوهج في كلماتها الملتهبة المتأوهة .

ولنتصور الملك وحيداً، يمسك بريشته، ليخط رسالة الى الكردينال، وهو في الحقيقة، يحاول ان يتعزى ويسلو، ولكنه لا يستطيع، فيكتب :

« البارحة حدثتني الحبيبة ايضاً عن رغبتها في الذهاب الى الدير لانها اتجهت باحلامها وآلامها الى الله وصارحتني بالاسى العاصف في كيانها، المبدل زهور حبها اشواكاً، وقالت :« انا نادمة على هجرك يا مليكي ولكنني سعيدة بتكريس حياتي لله ».

وتغرورق عينا الملك بالدموع ويكتب :« واسرت اليّ انها لن تمكث طويلاً، بل الى حين عودتي من الحرب ».

ويصلح بعض الحروف ثم يكتب بخطه الدقيق الانيق :«وقد سمحت لها بالرحيل . . وأنت تعرف السبب، والآن اتساءل من اعماق ضميري، كيف انساها، وكيف أمر بالمستقبل في مماشي فرساي دون ان استعيد طيفها الجميل الوديع ».

نحن في التاسع عشر من نيسان، في مخدع الملكة «آن دوتريش» ولويزا تتهيأ للرحيل الى دير« القديسة مريم» في باريس، وها هي تودع الملك، بحضور رجال البلاط، ويتذكر الملك في هذه الساعة الحزينة، نتف السعادة التي انتزعها من الزمان، واللحظات الماتعات التي افاضتها هذه المرأة الجميلة الطاهرة عليه، وسط متاعب المهنة الملكية . . . فيتأثر من جديد، وتثور فيه مختلف العوامل المتضاربة المتناقضة، ويكاد يتمزق غيظاً وحزناً . .

ان حبه، وقد ولد على اعين الناس جميعاً، يموت الآن تحت سمعهم وابصارهم، مات حبه، مات . وانتهى . ولن يكون بعد الآن قرب من يهبه المحبة والعزاء والبهجة .

واحس في تلك اللحظة ان اعين رجال القصر مصوبة اليه وكأنها تنهشه بسخريتها وقساوتها، فانحنى بسرعة واضطراب، يودع لويزا، وانسحب الى غرفة من غرفات القصر، بعيداً عن ضجة العربات والجياد المبتعدة بالحبيبة الضائعة .

ولم ير الملك لويزا بعد ذلك اليوم، ولا زالت ارل Arles، في جنوبي فرنسا، تملك في احدى كنائسها، ثروة من الشعر الذهبي، غنية بالضفائر والتجعدات المتموجة، وهي البقية الاخيرة من غرام بائس نبيل .

اهمال

قصة

للكاتب الروسي انطون تشيخوف

ترجمة سهيل ايوب

عاد بيوتر بيتروفيتش ستريجين ابن اخ السيدة ايفانوف ارملة الكولونيل – وهو الرجل الذي سُرق خفاه في العام الماضي – الى منزله من حفلة تعميد في الساعة الثانية صباحاً. ولكي يتجنب ايقاظ اهل البيت، خلع عنه ثيابه في الممشى الخارجي، واخذ طريقه الى غرفته على اطراف اصابعه معلقاً انفاسه، وابتدأ يستعد للنوم دون ان يشعل القنديل.

كان ستريجين يعيش حياة منتظمة وهادئة. وكانت تعلو وجهه علامات الخطيئة لانه لم يكن يقرأ شيئاً سوى كتب الدين والتربية ولكنه في هذه الحفلة اذ غمره السرور لان ليوبوث سبيريدونوفنا قد وضعت طفلها بنجاح وسلام، سمح لنفسه فشرب أربعة كؤوس من الفودكا وكأساً من الخمر الذي يوحي طعمه شيئاً بين الخل وزيت الخروع. ان المشروبات الروحية شبيهة بماء البحر والمجد: فكلما شربت منها، كلما ازددت لها ظمأ

والآن في الوقت الذي كان يخلع ثيابه فيه، كان ستريجين يشعر بشوق عنيف الى الشراب.

وفكر يقول: – « اني اعتقد ان داشينكا تملك بعض الفودكا في الزاوية اليمنى من خزانتها، فان شربت منها ملء كأس فأعتقد انها لن تلاحظ ذلك ».

وبعد تردد قصير، تغلب ستريجين على مخاوفه واسرع الى الخزانة وفتح الباب باحتراس فعثر على زجاجة من الفودكا في زاويتها اليمنى فسكب منها ملء قدح وأعادها الى مكانها ورسم بعدئذ اشارة الصليب ثم نهل الشراب. وعلى الفور وقع شيء شبيه بالمعجزة اذ سقط ستريجين الى الوراء من قرب الخزانة حتى الصندوق بقوة هائلة كالقنبلة. ان امام ناظريه لمعاناً وهو يشعر وكأنه لا يستطيع ان يتنفس، وفوق كل شيء كان يشعر وكأن جسمه قد سقط وسط مستنقع مليء بالعلق. وكان يبدو له وكأنه بدلاً من الفودكا قد ابتلع ديناميتاً ينفخ كالنار في جسمه، في البيت، وفي الشارع كله.. اما رأسه وذراعاه ورجلاه فقد كان يخيل له انها تنفصل عن جسده وتطير في الفضاء بعيداً الى الشيطان

ولمدة ثلاث دقائق بقي ممدداً على الصندوق بلا حراك ومنقطع الانفاس تقريباً ونهض بعدئذ وهو يتساءل: « اين انا ؟ ».

واول شيء لمع في خاطره بعد ان استعاد صوابه هو الرائحة الواضحة لزيت البترول وفكر مرتاعاً:

– « يا للقديسين، لقد شربت زيت البترول عوضاً عن الفودكا ».

والقت به الفكرة بأنه قد يكون سمم نفسه في قشعريرة باردة، ومن ثم في حمّى. لقد كان ما أخذه سماً حقاً، والبرهان على ذلك ليس تلك الرائحة في الغرفة، بل ايضاً ذلك الطعم المحرق في فمه، وتلك الشرارات امام عينيه، وهذا الطنين في رأسه، والمغص الاليم في معدته. ولقد اراد وهو يشعر باقتراب الموت منه، ودون ان يعلل نفسه بآمال كاذبة، ان يقول وداعاً لاقرب الناس اليه. ولذلك اتجه نحو غرفة داشينكا. (وقد كانت تعيش معه، منذ ان ترملت، اخت زوجته التي تدعي داشينكا. وهي فتاة كبيرة السن، لكي تعتني بأمور المنزل).

وقال بصوت مغرورق بالدموع وهو يدخل غرفة النوم.

– « داشينكا، عزيزتي داشينكا ! ».

فتأفف شيء في الظلام وانطلقت منه آهة عميقة:

– « داشينكا ». فجاء صوت امرأة يتلفظ بسرعة:

« من؟ ماذا؟ اهذا انت يا بيوتر بيتروفيتش؟ لقد رجعت اخيراً؟ حسناً، ما بالك؟ ما الاسم الذي اعطيته الطفلة في المعمودية؟ ومن كانت عرابتها؟ ».

– « لقد كانت عرابتها ناتاليا اندريويفنا فيليكوسفيتسكي وعرابها بافيل ايفانيتش بيترسونيتسين.. اني. اني اعتقد يا داشينكا انني اموت. والطفلة قد اعطيت في المعمودية اسم اوليمبيادا اكراماً لشفيعتهم اللطيفة.. اني.. اني شربت الآن زيت البترول يا داشينكا! ». « – وماذا ايضاً؟ انك لا تقول انهم قدموا لك زيت البترول هناك! ».

– « يجب ان اعترف انني اردت ان اشرب الفودكا بدون ان اطلب منك ذلك.. وقد عاقبني الرب على ذلك، لقد اخطأت في الظلام فشربت زيت البترول.. ماذا وجب علي ان افعل ؟! »

واذا علمت داشينكا ان الخزانة قد فتحت بدون اذنها ازداد تيقظها.. واسرعت باشعال شمعة، وقفزت في سريرها وانطلقت حافية القدمين الى الخزانة بثياب النوم وبوجه فيه غش كثير وبارزة عظامه كالورق المجعد. وسألت بغضب وهي تتفحص داخل الخزانة: – « من اخبرك

ساعي البريد

✡

ساعي البريدْ
ماذا تريد
انا عن الدنيا بمنأى بعيد
اخطأت ،
لا شك فما من جديدْ
تحمله الارض لهذا الطريد
ما كان ، ما زال على عهده
يحلم او يدفن او يستعيد
ولم تزل للناس اعيادهم
ومأتم يربط عيداً بعيد
اعينهم تنبش في ذهنهم
عن عظمة اخرى لجوع جديد
ولم تزل للصين من سورها
اسطورة تمحى ودهر يعيد
ولم يزل للارض « سيزيفها »
وصخرة تجهل ماذا تريد

***

ساعي البريد
اخطأت ،
لا شك فما من جديد
وعد مع الدرب فيا طالما
جاء بك الدرب . .
وماذا تريد . . ؟

بغداد — بلند الحيدري

انك تقدر على ذلك ؟ هل احتفظ بالفودكا هنا من اجلك ؟ » .

وتمتم ستريجين وهو يمسح العرق البارد المتصبب على جبينه :

— « اني، اني لم اشرب الفودكا يا داشينكا بل زيت البترول . . »

— « وما الذي يدفعك الى لمس زيت البترول ايضاً ؟ ليس لك من حاجة فيه ، اليس كذلك ، هل وضع هنا من اجلك ؟ ام هل تعتقد ان زيت البترول لا يكلف شيئاً ؟ ايه ؟ هل تعرف الآن قيمة زيت البترول ؟ هل تعرف ؟ »

— « يا عزيزتي داشينكا ، انها مسألة حياة او موت ثم تتكلمين انت عن الدراهم ! »

فصاحت داشينكا وهي تقفل باب الخزانه بعنف وغضب :

— « لقد سقى نفسه حتى السكر ، والآن ها هو يضع انفه في الخزانة ! يا للرجال الابالسة ، يا للرجال المزعجين ! انني ضحية ، انني امرأة شقية لا امان ولا صلح لها في الليل او في النهار ! يا للاوغاد والملاعين ، يا لاشباه هيرودس المرذولين ، ارجو ان تلاقي مثل هذا العذاب في العالم الثاني ! سوف اذهب غداً ! انني سيدة عذراء ، ولا اسمح لك ان تقف امامي بثيابك الداخلية هذه ! كيف تتجاسر على التطلع الي عندما لا اكون مرتدية ثيابي ؟! » .

واستمرت دون انقطاع في مثل هذا الحديث . . ولما كان ستريجين يعلم ان لا فائدة من التأثير بالتوسل او الرجاء ، او حتى بتفجير قنبلة عندما تكون غاضبة ، لوح بيديه في يأس وارتدى ثيابه وقد عزم على الذهاب الى الطبيب . ولكنك تستطيع ان تجد الطبيب بسرعة فقط عندما لا تكون في حاجة اليه . وبعد ان اجتاز ستريجين راكضاً شوارع ثلاثة وقرع باب الطبيب تشيفاريانتس خمس مرات ، وباب الطبيب بوليتهين سبع مرات ، اتخذ طريقه الى دكان صيدلي ، وقد اعتقد انه من الممكن ان يستطيع الصيدلي مساعدته . وبعد برهة طويلة وجد صيدلياً مجعد الشعر قاتم الوجه قليلاً قد خرج اليه لابساً (مشايته)، وعيناه ناعستان ووجه تعلوه الرصانة والحكمة الى درجة انه يبعث الرعب في القلوب بصورة اكيدة. وسأل الصيدلي في نغمة لا يستعملها الا الحكماء والمبجلين من صيادلة اليهود للاقناع : — « ماذا تريد ؟ » فأجاب ستريجين متقطع الانفاس :

— « استحلفك بالله . . انني اتوسل اليك . . اعطني شيئاً ما . لقد شربت زيت البترول مصادفة . انني اموت ! » .

— « انني اطلب اليك الا تهيج نفسك ، وان تجيب على الاسئلة التي سأسألك اياها ، ان كونك مهتاجاً الى هذا الحد يكفي وحده ليمنعني من فهمك جيداً . انك شربت زيت البترول اليس كذلك ؟ » . — « نعم زيت البترول ! ارجوك انقذني ؟ » .

وسار الصيدلي بوقار ورزانة الى الصندوق وفتح كتاباً وانهمك في قراءته . وبعد ان قرأ صفحتين رفع كتفاً ثم الاخرى مقطباً وجهه بتكبر وبعد ان فكر دقيقة واحدة ، دخل الى الغرفة المجاورة . ودقت الساعة الرابعة ، وبعد ان اشارت الى مرور عشرة دقائق اخرى عاد الصيدلي بكتاب آخر . ومرة ثانية انهمك في قراءته . وقال كما لو كان حائراً : — « هم ، كان يجب عليك عندما شعرت بالمرض ان تسارع الى طبيب وليس الى صيدلي » .

— « ولكنني ذهبت الى الاطباء قبل الآن ، ولم استطع ايقاظهم »

— « هم » . . انتم لا تنظرون الينا نحن الصيادلة كالكائنات

اعداء الكتاب

بقلم السيدة وداد سكاكيني

منذ كانت الحرب اصطلح المحاربون على قواعد سموها فن القتال، وعبر عنها المعاصرون بكلمة «تاكتيك» فمن « التاكتيك» ان تجتنب الحرب في جبهتين، ان صح هذا التعبير في لغتنا اليومية ، وقد اخذ بهذا الرأي دهاقين السياسة والنضال في زماننا، فما من أمة حاربت في جبهتين الا كابدت الصعاب وتصدت لافدح البلاء، فما بال اذن من يهاجم من جبهات ثلاث؟؟

ولا جرم ان المفترى عليه في أيامنا ، المبتلى بثلاثة من الاعداء هو الكتاب ، لقد امتحنه الدهر اول ما امتحنه بعدو واحد ، فلما تفتح وعي الانسان واتسعت معرفته اصيب الكتاب بعدو جديد، وتقدم الزمن فتعددت اسباب الحضارة والثقافة ، وذاق الانسان حلاوة العلم والاختراع ، وقد ادى هذا التطور العجيب الى ابتلاء الكتاب بالعدو الثالث ، فازدادت نكباته وخطوبه . واذا شئت القول الصراح لم اجد بداً من اتهام المراة بأنها كانت العدو الاول للكتاب ، فالانسان منذ كتب خواطره واودع افكاره الطروس جمع الورق والصحف سفراً، وكانت المرأة عدو الاسفار، ومن يدري فلعل الفلاسفة الاقدمين كانوا يعانون من زوجاتهم الهموم، كلما عكفوا على المطالعة وانصرفوا الى البحث والكتابة، وما خلا تاريخ التراجم حين تبسط كاتبوه في انباء الادباء واهل الفكر، من التندر بما كان يلقاه الكتاب من غيرة الزوجات ، وان علماء الاجتماع يهدون لنا طريق الاستدلال والاستقصاء قائلين بمرآة الحاضر ، ويعنون بذلك ان للحاضر مرآة تعكس الغابر، فكثير مما نراه في ايامنا من طبائع النساء ومنازع الرجال على وعيهم ورقيهم مردود الى امثاله من آثار الاقدمين، والمرأة كما يقولون هي المرأة في كل زمان ومكان وفي النساء المتعلمات وانصاف المتعلمات من تتميز من الغيظ كلما أكب زوجها على كتاب يقرؤه ، وكم نظر هؤلاء النسوة الى الكتاب في ايدي ازواجهن وكأنه ضرة من الضرائر ، وقد يكون فيهن من تحرد وترتد الى بيت اهلها ، لان زوجها مشغول عنها بالكتاب ، او يؤول هذا النكد والتنغيص في الحياة الزوجية الى الشقاق والفراق .

ففي القديم اتفق لليث بن نصر كاتب البرامكة وتلميذ الخليل ابن احمد ان احرقت له زوجته كتاب «العين» الذي ألفه استاذه الخليل وهو النسخة الوحيدة ، وما فعلت ذلك الا كيداً وتشفياً لانصراف زوجها عنها الى جاريته ، فرأت ان تنغصه بأعز شيء لديه وهو الكتاب الذي كان يحرص عليه ، فأحرقته وتركت بنقمتها هذه بلبلة لغوية لا يزال العلماء الى اليوم يعانون ضلالها .

البشرية فتزعجوننا من راحتنا في الساعة الرابعة بعد منتصف الليل . مع ان كل كلب او قطة يستطيعان النوم بسلام . . انكم لا تحاولون فهم هذه الامور ، ونحن في نظركم لسنا بشراً ، واعصابنا في اعتقادكم مركبة من حبال » .

واستمع ستريخين الى الصيدلي، ثم تنهد وخرج في اتجاه المنزل .

– « وهكذا يكون نصيبي الموت » .

ان في فمه اشتعالا ومذاقاً لطعم زيت البترول . ان في معدته وخزات ، وصوتاً شبيهاً بالبم بم بم في اذنيه . وفي كل لحظة كان يخيل اليه ان نهايته قد حانت ، وان قلبه قد توقف عن النبضات .

واسرع حين وصل الى المنزل فكتب : « لا تدعوا احداً يكون مستحقاً اللوم بسبب وفاتي» وحينئذ تلا صلاته وتمدد وقد جر غطاءه فوق راسه ، وظل مستيقظاً حتى الصباح ينتظر الموت . وكان طوال هذا الوقت يتخيل الصورة التي سيكون قبره عليها . وكيف سيغطى بالاعشاب الخضراء الندية، وكيف ستتواثب الطيور فوقه .

وفي الصباح ، كان ممدداً في سريره يقول مبتسما لداشينكا .

– « ان من يعيش حياة منتظمة وهادئة يا اختاه ، لن يتأثر باي سم كان . انظري الي مثلا ، لقد كنت على حافة الموت لقد كنت اموت وأعاني سكرات الموت ، وبالرغم من ذلك فها انني معافى الآن . لم يبق في شيء سوى اشتعال في فمي وألم في حلقي، ولكنني فوق كل هذا على ما يرام فشكراً لله . : ولم ذلك ؟ انه بسبب حياتي المنتظمة » .

وتنهدت داشينكا مفكرة في مصروف اهل البيت وشاخصة في الفراغ . – « كلا بل كان ذلك لان زيت البترول من نوع رديء ، ان البائع لم يعطني دون شك احسن الانواع . ان ما اعطانيه كان بثلاثة مليمات . انني ضحية . انني امرأة شقية يا لكم من أبالسة ! ارجو ان تلاقي مثل هذا العذاب في العالم الثاني . يا لاشباه هيرودس المرذولين » . وتابعت كلامها على هذا النمط . .

دمشق سهيل ايوب

وروي ان امرأة ثانية على هذه الشاكلة، كانت زوجة لأمير كبير، ليس له دأب الا المطالعة والكتابة، وكانت عنده خزائن كتب يزهو بها ويعتز، فلما توفي هبت زوجته الى هذه الخزائن مع جواريها وجعلت ترمي الكتب في بركة ماء، وهي تندب حظهـا مع زوجها حتى اشتفى غلها.

وكيف كان الامر ودارت اخباره ونوادره؛ فان المرأة من اعداء الكتاب ان لم تكن اول من عاداه وستبقى متهمة بهذه العداوة ما دامت لا تعبأ بالكتاب، فلا تقتنيه ولا تشتريه، بل تبخل عليه بالقليل في حين تسخو على زينتهـا بالكثير، وكم بين المتعلمات والمعلمات على اختلاف ثقـافتهن ومكانتهن من لا تقرأ كتاباً، مكتفية برواية خفيفة، او صحيفة ظريفة، تطالعها من حين الى حين للسلوى والفكاهة.

ثم كانت المرحلة الثانية من حرب هذا المسالم الامين، الذي لا يملك الدفاع عن نفسه، تنبذه اليد ويعلوه الغبار فيبقى مكانه مهجوراً مطروحاً، حتى تتاح له يد ثانية، يفتح ثم يغلق، ويشق او يمزق، لم يعرف الهجوم في عمره وان كانت حربه دائماً وأبداً حرب دفاع، ودفاع بغير سلاح.

وكان عدوه الثاني اللدود هو الصحافة، التي تصطنع الطرافة والخفة في اخبارها وتعبيرها، وتتناول اطراف الثقـافة في يسر وسرعة لتقدمها الى القارىء رخيصة منوعة، وقد ابتلي هذا العصر بفوج منها جديد، مستجيب للاهواء والظروف، يغري الكبار والصغار بالصور العارية والتلاوين الفاتنة، والموضوعات الحية الجاذبة.

لقد هجمت هذه الصحف على دنيا الكتاب هجمة الفـاتح المكتسح؛ فبددت الكتب وأدالت دولتها، وحلت محلهـا في الدور والقصور، فصارت الايدي تتثاقل حين تمتد الى كتاب، وتترامى متسابقة مستعجلة الى الصحف التي تؤدي الغذاء الخفيف المصنوع، وشتان بين أكلة دسمة يجلس اليهـا الجائع وينهض ممتلئاً رياً وشبعاً، وبين حبة او حبتين من اقراص الفيتامين! فلمَ يشق القارىء على نفسه بكتاب يكب عليه اياماً، وما جدوى تنقيبه وتقليبه الساعات الطوال ليعجب باسلوب الكتاب حينـاً وروعة التعبير والتفكير حيناً، وفوق ذلك يؤدي الثمن الكثير او القليل في شرائه، ان كل هذا العناء توفره صحيفة خفيفة معاصرة تـلم بالموضوع الذي ينشده القارىء الماماً عابراً يسيراً، فمن هاهنا كانت مصائب الكتاب، وكانت سوقه الكاسدة.

ولم يكتف الدهر بعدوين اثنين؛ بل رماه بعدو ثالث، ولا طاقة للكتاب بان يجبهه ويصد عنه اذاه، لانه متسلح بالكهرباء، محفوف بالسحر الحلال، ابتدعته حضارة العصر لتكيد للكتاب وتزيد في همومه وخطوبه، انه المذياع.. وهل عليَّ من ضير ان آخذته بجريرته؟

فاذاعات تبقى الواحدة منها ربع ساعة او اقـل تسقط في الاسماع دون تعب ولا حرج ولا يطلب فيها من اليد غير تحريك اللولب الذي يبعث الصوت مدوياً في الفضاء، او رفيقاً مهموساً، هي اذاعة خفيفة ظريفة، كافية لمن كان يعوزهم اليوم واليومـان للالمام بكتاب، وكيف يشق القارىء على نفسه، فيطالع سفراً ضخماً عن سياسي خطير او مؤرخ كبير في ايام وشهور، او انه يقضي الليالي الطوال ليلم بطارحات الجاحظ عن افانين «البخلاء» و«الحيوان» ان اذاعة عنها سريعة طريفة تجيء في دقائق معدودات يلخص فيها المحدث كل هذا العمر، فالسنة دقيقة، والصفحة كلمة، والكتاب حديث، وكفى الله المستمع او المستمعة تطويل البال.

على اني في هذا المقال لست بصدد التنويه بفضل الكتاب، فان اية حضارة في العالم قديمة او حديثة ما تخلت عن الكتاب، وكيف تتخلى عن سجل فنونها وحياتها ومستودع ماضيها وعبقريتها، وقد كفانا الجاحظ مؤونة القول في هذا الموضوع، حـين وصف الكتاب وافرد له باباً خاصاً في كل من كتابيه «الحيوان» و«المحاسن والاضداد» قائلاً: «وتصنيف الكتب اشد تقييداً للمآثر على ممر الايام والدهور من البنيان، لان البناء لا محالة يدرس وتعفي رسومه والكتاب باق يقع من قرن الى قرن، ومن امة الى امة، فهـو ابداً جديد، والناظر اليه مستفيد» الى ان يقول: «ومن لك بمؤنس لا ينام الا بنومك، آمن من الارض، وأكتم للسر مـن صاحب السر. والكتاب هو الجليس الذي لا يطريك، والصديق الذي لا يقليك، والرفيق الذي لا يملك».

ولقد نددت في هذا المقال باعداء الكتاب لا للتشفي او التسلي وانما لادعو لنصرة الكتاب والعودة اليه وذلك بالاقبال عليه والتقدير لمؤلفيه، فنمنحه حباً جديداً لا يبلى على الايام ولا تحول بيننا وبينه مغريات الحضارة ونوازع السرعة والتوفير، لان في الكتاب خزائن المعرفة وينابيع الفكر والنور، ولن يستطيع احد ان يطفىء هذا النور ما دام في النـاس شوق وحنين الى ان يشفوا غليلهم بشربة باردة من النبع الاصيل الفياض.

دمشق — وداد سكاكيني

احمر الشفاه

●

.. كم وشوش الحقيبة السوداء .. عن جواهْ
وكم روى المشط .. والمرآة .. ما رآه
على فم أغنى من اللوزة فلقتاه
يرضع .. حرف مخمل تقبيله صلاه
دهانه نارٌ .. وما تحرّقت يداه
ليس يخاف الجمر مَنْ طعامُهُ الشفاه
إن نهضت لزينة تفتّحت مناه
وارتفّ .. والتف على اؤلؤة وتاه
يمسحها .. فللوعود الهجَّع .. انتباه ..
سكرانَ .. بين اصبعين جدولي مياه
يغزل نصفَ مغرب كأنه اله ..
حيث جرى بِرُكارُهُ فالرزق .. والرفاه
يهرق في دائرة مضيئة دماه ..
مداه قوس لازورد ليت لي مداه
يرشّ رشة .. هنا حمراء من شذاه
ويغرس الشموس حيث غلغلت خطاه
اذا أتمّ دورة .. قال العقيق : آه

***

أنت شفيعي عندها يا احمر الشفاه

استامبول نزار قباني

من الفهم الالماني | # مذهب ليبنز | بقلم محمد عنباني

●

مدخل الى ليبنز

ظلت فلسفة ليبنز (١٦٤٦ — ١٧١٦) سائدة على الفكر الالماني والاوروبي حتى « كنت »، وحتى بعد صدور « نقد العقل الخالص » ظل اتباع ليبنز يدافعون عن نظريات معلمهم محورين في بعضها ، وطالما بخست المذاهب المتعاقبة « ليبنز » حقه ، وسخرت من افتراضاته . ولكننا نعتقد ان النقد العميق العادل يلم بالمذهب الفلسفي من ناحية روحه العامة ومبادئه الاساسية الجوهرية، فاذا طبقنا هذا على ليبنز ، وجدناه احد معلمي الانسانية العظام ، وأحد اولئك الذين ساهموا في بنيان النهضة الحديثة . فلقد قام ، مع ديكارت وباكون ، بنسف المعتقدات الوهمية التي غذتها ظلمات القرون الوسطى وشوشت كثيراً من معطيات الفلسفة التجريبية التي ولدت مع ديكارت وباكون وليبنز عائدة الى عمق ارسطو وافلاطون وفيثاغورس ، مجددة لا المسائل والحلول الفلسفية ، بل العقل البشري ايضاً .

وليبنز وجه من تلك الوجوه الفكرية الصافية ، فيثاغورس ، افلاطون ، ديكارت ، نيتشه ، برجسون الخ .. تلك الوجوه التي انشأت الفلسفة الروحية ورأت في النفس شيئاً غير الفاعل السلبي والموضوع الزائل ، المنبثق عن الحواس ، امكانية فارغة ، ونتيجة للكيان الطبيعي ، فهي تعترف للعقل بمصدر إلهي ، وسلطة اسمى من سلطة التجربة المحسوسة ، ان ليبنز هو احد العقول التي تردُّ في مفهومها ، الحوادث المبادىء والمادة للافكار والمثل ،وهو يتصل تاريخياً بديكارت ، ولذلك رأيناه خصماً مباشراً « لغاسندي » « ولوك » .

نظرية المعرفة :

يعترف ليبنز في كتاب « تأملات في المعرفة والحقيقة والافكار » بفضل المنطق المدرسي عليه ، اي منطق ارسطو وآباء الكنيسة ، ثم يستطرد فيقر ان مبادىء كل يقين يجب ان تخلو من التناقض ، وهو يستعين بمبدأ السبب الكافي في تثبيت دعائم منطقه ، وهذان المبدآن ليسا ، في المنطق الليبنزي ،سوى وسيلتين للاثبات والتحقيق والنقد ، فهو في هذا سلبي صرف ، يستخدم منطقه للتدليل على خطأ فكرة واظهار الشتات في نظرية ولا يمكنه ايجاد حقائق جديدة ، فالمنهج والحالة هذه بحاجة الى ان تضاف اليه اصول لفن الابتكار ، وينقصه ، من الناحية الفلسفية الغيبية ،منطق عام :

وليبنز يرى ان ثمة مصدرين للمعرفة : التجربة الصادقة ، والاثبات الواقعي ، ونوعين من الحقائق : حقائق الاحداث البديهية ، والحقائق غير المباشرة اي الضرورية . اما السبب الاخير للحقائق فهو الله . وكل تفكير لا يوصلنا الى الله هو تفكير خاطىء .لان الحقائق لا تعرف الالتواء والغموض ، ولو وجد للمعرفة الفلسفية منطق واضح مكتوب بلغة علمية متماسكة واضحة ، لامكن ان نحقق في نتائجها كما نحقق في عملية حسابية ، والتحليل هو وسيلة للبحث عن الحقيقة . والكامل منه هو اختصار الافكار والاسباب الى عناصرها البسيطة العامة ، والى الافكار التي لا تتحلل ولا تقبل الجدل ولا الاختصار ؛ او بتعبير آخر الى صفات الالوهية المطلقة . وهي السبب الاول ، فالله خلق بأمره هذا العالم ، والاشياء هي افكار الباري ، والتحليل يميل الى الوصول الى هذه الافكار كانت الحقيقة المنطقية في نظر « ليبنز » سواء والحقيقة المادية ، والامكان العقلي يتساوى مع الحقيقة ، وبما ان ما هو ممكن يميل الى الوجود بالضرورة ،فان فكرة ما ، تكون حقيقية ، حين يثبت لنا امكانها . وهي خاطئة حين تظهر فيها بوادر التناقض . وفكرة ما ممكنة بديهياً ، حين لا يكون ثم تناقض

في ادراكها ، وهي ممكنة ، بعد الاثبات ، اذا كانت موجودة الآن ، وهكذا كان « ليبنتز » يعتبر النهايات المجردة كعناصر لازمة لكل حقيقة .

انه مثالي روحي كما قلنا . يرى في الديالكتيك تعبيراً عن فكرة الالوهية . وكان اقل جرأة من « هيجل » ، فلم يعترف بوحدة الاشياء الا في الله ، اما الانسان فليس له ان يفكر في الانسجام الكوني الالهي المادي الا كانسان .

وهو يرى ان المعرفة اما ان تكون واضحة او غامضة . والمعرفة الواضحة هي بدورها اما مفهومة او مشوشة ، والمعرفة المفهومة هي ايضاً اما ظنية او رمزية وهذه المعرفة الرمزية هي المعرفة الكاملة ، ولكنه يشك بامكان الوصول اليها .

وهو في نفس الوقت ، عقلي مثالي واقعي ، فتراه ينسب الى العقل سلطة حرة غير مقيدة بالتجربة ، فهو يحصل على الادراكات بدون عون خارجي ، ويعترف ليبنتز للعقل بقوانين محسوسة ، اذ تنطلق الحواس لتعيين الوجود .

ولكن الاحاسيس لا تكفي العقل ، واذا صح ان ليس في العقل شيء من غير اعطاء الحواس ، فالعقل على كل حال اصيل في ذاته . ان « ليبنتز » يرى اننا نرى كل شيء في الله (اي بواسطته، فهو نقطة ارتكازنا وغايتنا) ولكنه يخالف (مالبرانش) في الرأي، فالله في نظر الفيلسوف الالماني ، نور لجميع البشر ، وثمة روح عامة مصدرها الله ، متمثلة في الجميع ، والحقيقة التي تكلمنا ، حين نصل الى اليقين الفلسفي ، هي صوت الله نفسه .

ليبنتز والحلولية :

ولا يظن القارىء ان ليبنتز حلولي Panthéiste ، فهو ابعد الناس عن افكار سبينوزا في هذا الصدد ، بل ان فلسفة ليبنتز تمتاز بمناهضتها لحلولية « سبينوزا » امتيازها بمناهضة مادية « لوك » و « غاسندي » ان مذهب ليبنتز ، بما فيه من لاهوت ومنطق ومثل فكرية ومبادىء مجردة ومحسوسة ، يرتكز اولاً واخيراً على نظريته في الطبيعة العامة للكائنات والى نظريته في طبيعة الجواهر المعروفة بنظرية « الوحدات » . وقد افترض ليبنتز وجود هذه « الوحدات » لينجو من حلولية سبينوزا، ومثالية مالبرانش، ومادية غاسندي . « فالوحدات » في نظره ليست مجرد افكار ، اواعداداً صرفة ، ولا ذرات جسمية ، ولكنها ذرات روحية مادية اذا صح التعبير ، وهي حد وسط بين الفكرة والذرة ، بين المادة المطلقة والروح المطلقة . وكان يزعم انه ليس من شيء حقيقي خارج نطاق الجواهر الفردية ، وان هذه موجودة بذاتها ، مستقلة عن كل فاعل مفكر، وهكذا فرّق بين الجواهر المتعينة والمخلوقة، وبين الجوهر المطلق البدائي . ان الفرديات في نظر الحلوليين ليست سوى مظاهر تثبت او تنفي الجوهر المطلق ، اما في اعتقاد « ليبنتز » فهي الايجابية على الدوام ، رغم كونها مخلوقة وتابعة لموجدها .

ليبنتز وديكارت

وفي بحث آخر يمتدح « ليبنتز » « ديكارت » ، وينقد بعض مبادئه نقداً ليناً رفيعاً . ثم يعلن ضرورة تعريف لفظة « جوهر » لانه تتوقف على هذا التعريف معرفتنا بالحقائق الاولية حول الله والروح وحول طبيعة الاجسام نفسها . فهذه اللفظة تحمل في نظره معنى القوة. بل هو يفترض القوة فيها افتراضاً . طبعاً انه لم يُساوِ ، في معادلة صغيرة ، بين القوة والمادة ، كأينشتين ، مغيراً مصير البشرية ، بل كان اشد تواضعاً ، فهو يرى في الجوهر تلك القوة التي تميل دائماً الى الدخول في معترك العمل ، وهو يرى ان السبب الاخير لكل حركة هو تلك القوة المنتقلة الى الاشياء ، عند الخلق الاول ، انها قوة منتشرة في المكان ، ولهذا السبب نراها مختلفة المظاهر ، ان هذه القوة العاملة موجودة في كل عنصر ، مادياً كان ام روحياً ، والعناصر المخلوقة ، تلقت عن العناصر الخالقة ، لا موهبة العمل فحسب، بل امكانية استخدام القوة في الوجه الذي تريد . وهو يعتقد ان الوحدات الجوهرية التي تؤلف الاجسام لا تسمو طبيعتها الى طبيعة الارواح والعقول فهذه الارواح والعقول مخلوقة على صورة الله ، وهو يحكمها كما يحكم الملك رعيته ، بينما هو يتصرف بالجواهر الاخرى تصرف المهندس بادواته ومواده .

والارواح والنفوس والعقول لا تفنى . ولشرح خلودها تحرر ليبنتز من كل ما له مساس بفكرة الموت والولادة ، واعتمد نظرية « سوامردام » و « مالبيجي » وغيرهما ، مقرراً ان توالد الحيوان ليس الا تطوراً وتتمة ، فليس في عالم الحيوان ولادة جديدة ولا موت ، بل انتقال روح خلال تطورات .

اما النفوس العاقلة فتتبع قوانين مغايرة فهي لا تستطيع ابداً فقد شخصياتها . والنفس البشرية احدى هويات عالم الارواح ، وكل شيء يميل الى الرقي والتحسن وخاصة هذه النفوس العاقلة الخالدة التي تطمح الى كمال العالم حولها . والمكان ليس كائناً حقيقياً مطلقاً ، بل هو شيء نسبي ، تخيلي ، وكذلك الزمان ، والمكان هو نظام الاشياء التي

تتساوى في حيز الوجود ، والزمان هو نظام الاستمرار والديمومة.

ورفض ليبنز، فيما له علاقة بالروح والجسد وتوافقهما ، الاقتناع بأثر جوهر في جوهر آخر، مسايراً في هذا الطريقة الديكارتية ، ولكنه لم يستطع ان يقبل مثلهم مذهب الاسباب الطارئة أو مذهب الحفظ الالهي، فاضطر لقبول فكرة «الانسجام سابق التصميم» وهذا الانسجام تم بارادة الله، عند الخليقة، وفيه توافقت كل الجواهر والعناصر ، وخاصة الروح والجسد ، وبفضل هذا الانسجام ، نجد ان الجواهر — باكتنافها وتطورها كل على حدة — حرة كل الحرية مستقلة تمام الاستقلال ونحن نجدها متوافقة تمام الموافقة حتى ليكمل احدها الآخر. وضرب ليبنز مثلاً ساعتين مضبوطتين تدقان في ثانية معينة واحدة ، ويعود سبب ضبطها طبعاً الى صانع الساعات الذي صنعها بدقة وحنكة ، حتمتا عليها التوافق والالتقاء. وهذه الافتراضات ، وقد روعت صاحبها قبل غيره ، فرضت نفسها بعد استحالة ايجاد اسباب عقلية اخرى لتفسير الوجود ، اسباب تؤمن الحرية الذاتية والخلود المطلق للنفس الى جانب دلالتها على الله ، اسباب تظهر منها سمات الانسجام الكوني واضحة حية.

وترتب على هذه المبادىء كون النفس البشرية حرة الى ابعد حدود الحرية ، لا يشوب حريتها اي تأثير غريب عنها ، وديمومتها الخالدة واضحة مؤمنة ، وكذلك استقلالها وخلودها وفرديتها.

وهو يقول « كل نفس عالم على حدة ، تنبعث منه مقوماته الذاتية، وينطلق الى اللانهاية ، معبراً عن الوجود ، والنفس خالدة كالوجود الذي تعبر عنه ، والنفس تقدم لنا دليلاً على وجود الله ، حين نلمس ان انسجامها لا يمكن ان يأتي الا من مصدر ذكي ليس لذكائه نهاية... ونحن لن ننقد هنا هذه النظرية ، فالقارىء يلمس ما فيها من خيال وحقيقة ولكن لنا ان نعجب من هذه الحرية المطلقة التي يزعمها للنفس بعد حلولها في الجسد...

ولا شك انه محق حين يشير الى الحرية في العقل وان النفس حرة بمجرد كونها عاقلة ، ولكنه اهمل ناحيتين اولاهما ان العقل ليس كاملاً ولا مثالياً والثانية ان النفس لا تملك في ذاتهـا قوة الوجود وانها لا تختار حين توجد.

نظريته في الوحدات

وفي بحثه في «الوحدات» نجد آراء ليبنز تتركز حول الله والروح والكون. « فالوحدات » وهي عناصر الاشياء ، جواهر بسيطة لا تفنى ، وجدت بوجود الخليقة ، وهي مختلفة الصفات مستقلة عن كل تأثير خارجي، ولكنها تخضع لتغيرات داخلية سببها الرئيسي الشهوة المطلقة ، انها ذرات غير مادية ، وبينها ذرات يتضح فيها الفهم مصحوباً بالوعي، وهـذه الاخيرة هي الارواح ، فالارواح البشرية تمتاز عن الحيوانات بمعرفة الحقائق الضرورية التي يتركب منها العقل، ومن العقل تنشأ احداث التفكير التي توصلنا الى «الأنا»

***

فاذا وصلنا الى « الانا » حتم علينا المنطق المتسامي الخروج من سلسلة الاحداث الواقعية والوصول الى السبب الازلي الذي هو الله فالدليل الاول على وجود الله هو امكانية وجوده. ومن ناحية اخرى وجود هذه الكائنات. ومعرفتنا بالله هي عالم الحقائق الضرورية ، الخالدة مثل الله.

تطورية ليبنتز :

ان مبادىء التطور والسمو نحو الصلاح والخير تنطلق من معرفتنا بالله . وعالمنا هذا اليوم ، هو افضل من كل عالم سابق ، ففيه تجسدت نهاية امكانيات الخير والحق والجمال . والكائنات سطور إلهية . واهم صفات الارادة الالهية : القوة والارادة والمعرفة ، ويماثلها في النفس البشرية قوى الفاعلية ، وهي القاعدة، وملكة الفهم والشهوة ، والمخلوق يكون نشيطاً عاملاً بقدر ما فيه من الكمال والعكس بالعكس. وحركات الكون مضبوط بعضها على البعض الآخر في سبيل الحصول على افضل حياة ممكنة، وبفضل هذا الانسجام ، يمكن لكل جزء ، التعبير عن الاجزاء الاخرى ، ومن هنا هذا الاختلاف الكبير بين النفوس البشرية ، الكامن فيه انسجام كبير ايضاً . وكل جسم عضوي هو آلة من صنع الله ، والآلية منبثة حتى في ادق اجزائها ، بعكس الآلة التي يصنعها البشر ، وهذا هو الفرق بين الفن البشري ، والفن الالهي . وليس في الكون شيء ميت او مجدب ، حتى في ابسط العناصر والمواد تسري قوة الخلق ويلوح ابداع الخالق . وليس في الحيوانات من تناسخ ، بل تطور وليس هناك روح بدون جسد اذا استثنينا الله .

والنفوس العاقلة هي مرآة الالوهية ومرآة الاشياء المحيطة بها وبذلك يمكنها ان تسمو الى معرفة النظام الكوني . فتدخل مدينة الاله ، ذلك العالم المثالي الاخلاقي الموجود في العالم المادي ، حيث الله سلطان وأب ، وبما ان الله هو مهندس هذا العالم ، فمن الطبيعي جداً ان يتم الانسجام والتوافق بين العالم الطبيعي والعالم المثالي والروحي .

ثم ينتقل « ليبنتز » الى التقييم والاستنتاج، فيلاحظ في رسالته الى بوسويه Bossuet اننا لا نستطيع ادراك الاشياء في تطورها ، الا عضوياً ، وعلينا ان نقنع بوجود قوة عاملة واصيلة فيها . وآلية الاجسام وتركيبها يجب ان يشرحا بمبدأ اسمى من المبدأ المادي او السبب الرياضي ، فيجب ان نستخلص هذا المبدأ من مصدر غيبي ومن منبع قوة اصيلة ذكية صافية منبثقة عن الله .

وفي رسالة الى « بايل » Bayle يقول : ان الحكمة المطلقة تتصرف تصرف المهندس الكامل ، فعلم الطبيعة الحقيقي يجب ان يصدر عن نبع الكمالات الالهية ، فهناك المبادئ الحقيقية لكل شيء ، وعلينا ان نشرح كل شيء باسباب نهائية مقنعة .

وليبنتز يقر قانون الديمومة في اشكال الطبيعة وظواهرها . انه يقره في قواها . وهو يقول : ليس هناك جمود تام ولا متانة حقة ولا ميوعة مطلقة ، في اي مظهر من مظاهر الوجود ، طبعاً كل شيء يتم آلياً ، ووفقاً لقانون الديمومة ، ولكن مبادىء هذه الآلية اللامتناهية تنبعث من اسباب غير مادية ، ونحن نجد اللانهاية في كل شيء ، وكل التغيرات اللامتناهية في الطبيعة تسري فيها حكمة هندسية ، اذا صح التعبير ، وفي كل مظاهر الطبيعة نرى الانسجام والهندسة والاخلاق !

والطبيعة ملأى بالاسرار والعجائب والمعجزات وكثيراً ما يضل العقل في متابعة هذه الظواهر الخارقة ، اما القدماء فكانوا يعجبون بالطبيعة دون ان يفهموها ، والديكارتيون اعتبروها سهلة الى درجة انهم اهملوها ، ولكن على المفكر الجدير بهذا الاسم ، تقديرها حق قدرها ، وعليه ان يوالي اكتشافاته لان اسرارها لا تنفد .

ليبنتز ولوك

وحين يتعرض « ليبنتز » لنقد « لوك » نجده يصطنع اسلوب الحوار ، كما فعل افلاطون ولوسيان ، ففي بحث من اشهر بحوثه نجده يناقش « لوك » على لسان تيوفيل قائلاً « ان مذهبي يوفق بين افلاطون وديموقريط بين ارسطو وديكارت ، بين المدرسيين والمعاصرين ، بين اللاهوت والعقل . . .

وحين يقول لوك « لا يوجد شيء في العقل لم يكن قبلاً في الحواس » يرد ليبنتز قائلا :

« لا شيء ، طبعاً ، سوى العقل نفسه ، بطبيعته الخاصة وملكاته وقواه » وحين يشبه لوك المعرفة البشرية بلوحة بيضاء ، او بكتلة من الرخام النقي ، تنحت فيها التجربة شيئاً فشيئاً ، تمثالا ، يرد ليبنتز ، مشبهاً المعرفة البشرية بكتلة من الرخام ، معروضة لازميل التجارب الاولى وفيها خطوط قديمة اصيلة اولية ، تلمح في مجموعها الى مصير المعرفة ومستقبل وجودها .

نظرته الى الروح

والروح في نظر « ليبنتز » تتطور كالكائنات جميعها ، وفقاً لطبيعتها ، وهناك حقائق نفترض صحتها افتراضاً ، ولكن العلوم الاخلاقية هي اصيلة حتماً ، وثابتة بحد ذاتها ، كالرياضيات ، وهي تحتاج الى العقل لتفعل وتتطور وتتسامى ، والله يهدينا اليها بغرائزنا . والانسان مدفوع الى الخير قبل ان يقرأ قانون المحبة في قلبه . . .

ليبنتز ونظرية التشريع

اما آراء « ليبنتز » في الحقوق الطبيعية فنجدها في كتاب « ملاحظات حول مبادىء الحقوق » وهو يقرر في هذا الكتاب ان الحقوق الطبيعية

ذات اصل الهي. ولا يفهم من هذا ان الله يتحكم فينا وان احكامه كل شيء بالنسبة الينا. اننا نكتب هذه الحقوق، وحكمته ومحبته يجب ان تسودا تشاريعنا البشرية، لتقترب من الله وتكون مقبولة من عامة الناس.

والعدالة في نظره هي ذكاء صرف. وهي ضرورية خالدة كالنفس والله، وطاعة الله هي طاعة الحكمة المطلقة. وطاعة العقل هي طاعة الله، والعمل وفقاً للعقل هو العمل المنتج الخير. والله هو مصدر الخير والحقوق.

اما الخير والشر فهما كذلك، وبالضرورة، والجاحد الملحد يؤمن بالعدالة كما يؤمن بالرياضيات، والامن ليس المبدأ الاول للحقوق كما يظن جروتيوس Grotius مع ان كل شيء صالح للمجتمع هو حقيقي. بل فوق المجتمع المدني توجد المدينة الالهية، ونحن جميعاً من سكانها وغاية الحقوق الطبعية هي خير للذين يحافظون عليها، وهدفها افادة الضعفاء وتنظيم القوة للمحافظة على الكيان البشري، ومصدرها نور العقل الالهي المنبثق فينا من الله.

نداء ليبتز :

واليوم، وقد ضعفت القيم الاخلاقية، وأفلست الحضارة الغربية التجريبية المحضة، حتى النفسية الفلسفية منها؛ وقام الماركسيون والوجوديون يتنازعون التراث الروحي ويمزقونه شر ممزق، يرتفع صوت عميق نبيل، في اولئك الذين سيطروا على مقدرات المادة، ولم يتملكوا السيطرة على مقدراتهم، اولئك الذين قصروا او الغوا المسافات، في المكان والزمان، مقيمين عوضاً عنها مسافات روحية شاسعة بين المذهب والمذهب وبين النفس والنفس، اقول الآن، يرتفع صوت ليبتز، ببساطته وعمقه، منقذاً وموجداً.

اجل لقد غير جيمس وبرجسون مجرى العلوم الفلسفية المعاصرة وأصلحا النظرة الى النفس، وفجرت نسبية اينشتين، الذرة، ورفاقه اساطين العلوم التجريبية عاونوه في اعطاء الوحش البشري قوة جديده سرعان ما رأيناه يجربها، « لصالح البشرية وحقناً للدماء » في « ناجازاكي » و« هيروشيما »، وأوجد « بروست » طريقة جديدة لكتابة القصة واستقراء ذكريات النفس، وحلل قبله « العرتين » بما ليس عليه من مزيد من الدقة والنفوذ والشمول، ورفع « دي بوسي Debussy » الموسيقى الى مرتبتها المدرسية القديمة، وحمل « دي بروجلي De Broglie » الفيزياء الحديثة الى انتصارات باهرة ستخلد ما خلد الانسان، وأوجد « سيجمون فرويد » اصولا لعلم النفس، وتحليلا للشهوة الفردية، وجدد بيكاسو Picasso في فن التصوير وابتكر المفاهيم الجديدة لمدرسة فذة، وأنشد كلوديل وتوماس هاردي وما سيفيلد اروع اشعارهم وأعمق قصائدهم، فعل هؤلاء، وغيرهم، هذا، وكثيراً غيره. ولكن النفس ما زالت قانعة بعالمها القلق المهين لم تتركز، وسط بابل عصرنا، بل ظلت في المؤخرة، مع الاخلاق والمبادىء السامية والروحية الخلاقة.

لقد لاقى مذهب ليبتز نقداً عنيفاً خلال العصور كهذا الذى لاقته كل المذاهب والنظريات ولكن فضله لا ينكر في ايجاد مبادىء جديدة تتعلق بالعقل وسيطرته، وبطبيعة النفس، وبالطبيعة العامة، وبعلاقة الله بالكائنات، وكلها خطوات عملية في دنيا عقلية جديدة. وان ما يشرفه في نظرنا، ايمانه بالتقى والحكمة وبالتجربة والتفكير، وبالتربية العلمية والفنون، وباهداف هذه جميعاً وارادته في ان تصب كلها في محيط اليقين الالهي.

محمد عيناني

مصادر بحث « ليبتز »

Encyclopédia Italiana
Dictionnaire des sciences philosphiques
Œuvres complètes De Leibniz. Paris 1912
Histoire de la philosophie, Bréhier

رياح

في الليل . عندما تثور الطبيعة اعد
على اصابعي عدد السنين التي عشتها،
الثلاثين، وابسط على راحتي اول
شعرة بيضاء عندئذ فقط أذكر
كم كان شقائي فيكِ مروعاً
أنتِ يا من ذكرتني بمنبتي
الوضيع . . . ذلك التراب

✫✫✫

لصفاء الحيدري

بغداد

هومي ، هومي ، على مخدع الليل ، ومرّي مع الصباح ببابي
واستقرّي هناك لا تجفلي الصمت ، ليصحو على الصرير النابي
أنا أخشى تقلص النور في مدفن حبي على صقيع ارتيابي
وانثيال الكوى ، بأخيلة سوداء ، أطوى بليلها الصخّاب
والتفاتَ الاشباح في بيتي الدافي ، وصخبَ الطيوف في أعتابي
واصطفاق النوافذ الخُرس في قلبي ، وشجو الاشجار في اعصابي

***

خلف ذاك الرتاج ، يا ريحُ ، أنقاضُ سراج ، غذّيته بترابي
هو منّي ، ومن هواها ، تسابيح عليها ظل نديّ النقاب
سفح الامسُ فوقه ، من رؤى المغرب ، لوناً يشف كالاكواب
فارحمي قلبه المصدأ ، لا تقسي ، فذاك الدخان نفث اضطرابي
كلما شفّ لونه ، صفّنت فيه الأماني ، وخف وقدُ التهابي

***

ها هنا يا رياح . — والصمت والموت أقاما مجازراً لشبابي —
ذوّبت مقلتاي أيامنا نعشاً صغيراً ، ممّرته بعذابي
ستلفين حوله ، يوم تنفضّ الاماني ، عني وتهجر بابي
ويروح الغبار ، ينسج منه ، للاساطير حفنة من ثياب
ستنوء الاكتاف ، بالامل الميت ، وترمي عظامه للكلاب

***

كان لي امس ، وانطوى ، لم يذر منه ، على مقلتيّ غير ضباب
ورؤى مغرب ، تخلله الدمع خيوطاً خضراء كالملاب
ضفرتها شمس الربيع خميلات تقيني الهجير غبّ التصابي
تلك عيناي ، كالنوافذ ، ما أطللت منها ، الا وعدت بصابي
ورأيت السماء نصف رغيف ، تتعشى به جيوش السحاب
وأنا ها هنا ، تلملم — في الشباك — عيناي ، ذكريات اغترابي

***

انا في هيكل الهوى ، شمعة صفراء ، أقعتْ على الرفوف الكوابي
لم يعد في اطلال ماضيّ ، ما يدرأ عني خواطري واكتئابي
غير ضوء ، ينمّق ، مرتعب النور ، ويكبو على سطور كتابي
يفرع الليل . كلما شحب النور بعيني . وتاه خطو انسرابي
ودموع تنهدّ كالكوكب الهاوي . على غصة السراج الخابي
شرقت بالاسى . فجففها اليتم ، ففاتت على مدى أهدابي

مدام بوفاري

للكاتب الفرنسي جستاف فلوبير ١٨٢١ ــ ١٨٨٠

ترجمة السيدة ماهرة النقشبندي

•

ولد في مدينة روان في فرنسا وكان والده طبيباً . اعترف له بالزعامة الادبية وبالامارة فرسان البيان في عصره وقصته مدام بوفاري اعظم قصة لاقت رواجاً في اللسان الفرنسي . نشرت للمرة الاولى تباعاً في احدى المجلات الادبية وطبعت مجتمعة عام ١٨٥٦وقدم المؤلف والناشر للمحاكمة لما فيها من ادب مكشوف ولكن المحكمة برأتهما على اساس ان الادب الواقعي يجب ان يصور الحياة كما هي لا كما يريدها الناس . وقد قامت اصول القصة على حوادث الحياة نفسها ، فكان المؤلف نفسه طرفاً واحداً وكانت مدام لويز كولت طرفاً آخر واما الشخصية الاخرى التي أكتوت بنار المأساة فهي قريبة فلوبرت وقد مرت بها حوادث عاصفة كما مرت بايما بوفاري وكانت الحافز على كتابة القصة ومن مؤلفاته العظيمة الاخرى قصته التاريخية « سلامبو »

☆☆☆

القصة

(مدام بوفاري او آداب الريف) قصة* من الحياة الواقعية كتبها اعظم فرسان البيان الفرنسيين ، وضع فيها حسه واعصابه ، وود والالم يصهر نفسه لو أنه كان غنياً ليشتري كل الطبعات ويحرقها ليقضي على هذا العمل الجبار الذي رفعه الى ذرى المجد .

تبدأ القصة بجارلس بوفاري ذي النفس الخجول ، كتلميذ مدرسة ثم كطالب في كلية الطب . يتزوج ارملة تكبره سناً ثم تموت فيبني بالسيدة ايما روالت وهي ابنة مزارع مريض دفعه الى التعلق بها . يحس بالسعادة تغمره لمعيشته مع عروس فاتنة في ميعة العمر . لكنها كرهت نفسه الخاملة التي يعوزها الطموح والتطلع الى العلاء ، فودت لو عادت الى مدرسة الدير او الى باريس لتتمتع بهوائها الطلق الذي احست بانها في امس الحاجة اليه لتحسين صحتها ، ينتقل الى مسكن جديد في مدينة يونفيل الصغيرة . وهنا تدخل القصة شخصيات جديدة ، الصيدلي هومايز الذي يكره رجال الدين والذي على حماسه وحركته يقوم بكل ما في القصة من مزح ومجون ، وتلميذه الشاب ليون ديوبيوس . تحمل ايما ، وخيبتها المريرة تضع انثى . تهيم ايما ذات العاطفة المشبوبة بحب ليون وتشغفه حباً لكنه يرحل ويترك ايما المسكينة على استعداد لان تقع في حبائل اي رجل ما عدا زوجها المريض . تنصح ام جارلس ولدها ان يمنع ايما من قراءة قصص الغرام التي هي صورة من قلقها العاطفي وعدم استقرارها . كان رودلف بولنجر مالك الارض المجاورة لهم تعباً من اعماله واخلاصه السابق ، يلاحظ عاطفة ايما المتأججة ، فيصمم على التقرب اليها . يأخذ خادماً الى الدكتور بوفاري ليأخذ دماً منه (عادة متبعة في ذلك الزمن) ثم يتخذ له اسباباً اخرى يتذرع بها لزيارتهم كصديق ودود . يقترح على ايما الخروج للرياضة لشدة احتياجها اليها ، واعداً باعداد جواد لهذا الغرض يشكره جارلس ببراءة مقدراً لطفه وكرمه .

مشهد الحب

في اليوم التالي عند الظهيرة ، بدا رودلف في باب جارلس مع جوادين مسرجين على اذني احدهما ورود حريرية قرنفلية اللون وفوق ظهره سرج من جلد الغزال . كان رودلف يلبس حذاء ناعماً مرتفعاً وقد حسب انها لم تر في حياتها ما يماثلها . وفي الحق كانت ايما مفتونة بمظهره وهو واقف امام الدار بمعطفه المخملي الفاخر وسراويله البيضاء المخططة . . وكانت هي حاضرة في انتظاره . وهرب جستن من الصيدلية ليشاهد بدءها في الرحيل وتبعه الصيدلي

* عن الانجليزية من كتاب Famous Love Scenes, Mason

ايضاً مزجياً للسيد رودلف نصيحة قيمة صغيرة بقوله «ما اسهل ان يكبو الجواد براكبه. كونا على حذر فقد يكون جوادا كما قويي الشكيمة».

وسمعت فوقها جلبة وضوصاء، فاذا بها فيلست تنقر على زجاج النافذة لتؤنس برت الصغيرة. وارسلت الطفلة الى امها قبلة من بعيد فاجابتها الام بتحريك سوطها.

وصاح السيد هومايس «نزهة سعيدة.. الحذر قبل كل شيء، الحذر» ولوح بالصحيفة عندما رآهما يختفيان.

واطلقت ايما لجوادها العنان، وانطلق رودلف يعدو بجانبها وراحا يتبادلان بعض الكلام من حين لآخر. كان جسمها الزاخر بالفتنة محنياً برشاقة وخفة وقد امسكت يدها الجميلة العنان بحزم، ومدت ذراعها اليمنى واستسلمت للحركة التي كانت تهزها على السرج. وبين التلال حثا جواديهما على السير واخذا يطويان الارض طيا. وعند اقصى سرعتها وقفا فجأة فسقط حجابها الازرق الكبير.

كان الوقت بداية تشرين الاول، والضباب يغطي الارض والغيوم السوداء تمر في الافق البعيد وتحلق فوق التلال. وهبت الريح ندية خفيفة مزقت السحب وبعثرتها وحملت بعضها كشراع مثقل سار يتهادى ثم اختفى عن الانظار. وفي بعض الاحيان يتسلل شعاع من ضياء الشمس خلال فرجة من بين الغيوم فتبدو سطوح بونفيل اللامعة وحدائقها اليانعة يحتضنها النهر بسكون ويطوقها كواله اسكره العناق. ولاحت ساحاتها الممتدة وجدرها المتواضعة وبرج الكنيسة السامق. واغمضت ايما عينيها نصف اغماضة لتتبين بيتها من بين البيوت ولاول مرة تبدو بونفيل لناظريها بهذه الحقارة والصغر. وبدا الوادي من المرتفع الذي هما فيه كبحيرة واسعة شاحبة ترسل البخار الى الهواء. وانتثرت هنا وهناك مجاميع الاشجار كصخور صماء، وشمخت اشجار الصفصاف الفارعة فوق الضباب فبانت وكأنها شاطىء اثاره الريح. وفي الناحية الاخرى عند البطاح السندسية ومن بين اشجار الصنوبر يتألق نور باهت في ذلك الجو الدافىء، واخرست الارض المحمرة كدقيق التبغ وقع اقدامها، وراح الجوادان يضربان بحافة حوافرهما ثمار الشربين المتساقطة في طريقهما.

وذهبا الى طرف الغابة وكانت ايما تلتفت من حين لآخر لتتحاشى نظراته الجائعة فلم تر سوى صفوف اشجار الصنوبر التي جعلها تتابعها الرتيب تحس بدوار خفيف. ولهث الجوادان تعباً وراح الجلد على السرجين يبعث صريراً رتيباً.

وسطعت الشمس حالما دخلا الغابة فقال رودلف «لتحرسنا عناية الله» فقالت: — اتظن ذلك؟ وواصل يقول: الى الامام!

وصفر للجوادين فراحا يجدان راكضين وعلق ركاب ايما بالاشجار الشائكة الممتدة على طول الطريق فانحنى رودلف وخلصها وهما سائران. وسار بجانبها ليزيل الاغصان المتشابكة من طريقها فاحست بركبته تحتك بساقها. وصفا الجو وبانت السماء زرقاء واضحة الاديم وكفت الريح عن عبثها وسكنت الاشجار عن اهتزازها ومرا ببقع تملؤها الزهور البرية ومساحات واسعة تغطيها زهور البنفسج الوادعة واراض غطتها اشجار داكنة او فاقعة او ذهبية حسب طبيعة اوراقها. وغالباً ما كانا يسمعان من الاجمة خفوق اجنحة الطيور ونعيب الغربان الاجش وهي تطير تاركة مأواها في وسط شجر السنديان. وترجلا وربط رودلف الجوادين وسارت بين المسالك وفوق الحشائش لكن ملابسها الضافية الذيول اعاقتها عن المسير فرفعت ما بين ثوبها الاسود وحذائها الاسود جواربها الرقيقة البيضاء. فحسبها وكأنها جزء من جسمها العاري. وتوقفت وقالت: انني في غاية التعب.. فقال:

جربي ان تسيري قليلا.. تشجعي!

وبعد مسافة قصيرة توقفت عن السير مرة اخرى، ولاح وجهها من خلال قناعها الشفاف الذي اسدلته فوق قبعتها الرجالية وارخته على جسمها حتى فخذيها وكأنها تعوم في امواج لازوردية وسألت.. لكن اين نحن ذاهبان؟

فلم يجبها، وكانت تتنفس بصعوبة وراح رودلف يدور بعينيه وهو يعض على شاربيه. ووصلا بقعة فسيحة قطعت فيها بعض الشجيرات فجلسا على جذع ساقط وبدأ رودلف يبثها حديث حبه ولوعته ولم يفزعها بمديح واطراء زائفين بل استرسل بنبرة حزينة هادئة وقورة. وانصتت اليه ايما مطرقة الرأس وهي تحرك قطع الخشب المبعثرة على الارض بطرف حذائها. لكنها اجفلت عند قوله أليس مستقبلنا الآن واحد؟ واجابته قائلة: — انك تعرف جيداً ان هذا من المستحيل! ووقفت لتذهب فامسك بها من رسغها واجبرها على البقاء. وراحت تحملق في وجهه ووجهها يطفح عاطفة وانكساراً وقالت مسرعة مضطربة: لا تتكلم عن هذا الموضوع مرة اخرى! اين الحصانان دعنا نعود. فاومأ ايماءة فيها الغضب والانزعاج واعادت قولها اين الحصانان؟ وارتسمت على شفتيه بسمة غريبة وبنظرة ثابتة واسنان مطبقة تقدم اليها ممدود الذراعين ليضمها الى صدره فتراجعت مرتجفة وتكلمت بجهد ومشقة: — لقد اخفتني! وآلمتني! دعني ارحل! قال لها: — اذا اردت ذلك. واستطرد وقد تبدلت ملامحه فعاد محترماً لطيفاً

خجولا . واعطته ذراعها وعادا . قال : ماذا حل بك ؟ لماذا ؟ انا لا افهم لقد كنت مخطئة بلا شك فانت في نفسي كالعذراء سامية لا يبلغها راغب ، عالية لا يرقى اليها طامع ، بعيدة المنال ، آمنة في عالمها الطاهر ودنياها التي تفيض بالنقاء والبراءة .. وانني ان اردتك فانا اريدك لتنيري لي حياتي التي يكتنفها الظلام وتخيم عليها الوحشة والكآبة ، يجب ان تكوني لي عيناك لارى في عمقها سر الحياة .. وصوتك لاسمع همس الوجود .. وافكارك لتسديد خطاي نحو مستقبل نير بهيج ، كوني صديقتي .. كوني اختي .. كوني ملاكي! ولف ذراعيه حول خصرها فحاولت بضعف الابتعاد عنه .. واسندها الى صدره وهما يسيران وسمعا الجوادين يأكلان الاوراق . قال متوسلاً : لحظة واحدة لا تدعينا نذهب ! ابقي ! وسحبها بعيداً الى مستنقع نمت على اطرافه النباتات فصبغت ظلالها الماء بلون اخضر زاه . وكانت الزنابق ساكنة بين اعواد القصب وافزع وقع خطاهما الضفادع فقفزت تخفي نفسها في الماء .

لقد اخطأت .. لقد اخطأت ! انا مجنونة لاصغائي اليك .

لماذا ؟ ايا .. ايا ! . اوه اودلف ! قالت ذلك بصوت خافت رقيق وهي تميل على كتفيه . والتصق ثوبها بمعطفه المخملي . ودفعت جيدها المرمري الى الخلف وند عن صدرها تنهد عميق واجهشت بالبكاء . وهي ترتجف ودفنت رأسها في صدره ..

واقتربت ظلال الظلام . وبانت اضواء الشمس المحتضرة من خلال الاغصان بهية تبهر العيون .. وسقطت هنا وهناك اضواء مرتعشة على الاوراق وعلى الارض وكأنها ريش نثرته الطيور المحمومة . كان الصمت يسود المكان .. وكأن الاشجار تنفح شيئاً غريباً حلواً . واحست بقلبها يخفق بعنف بين اضلاعها والدماء تفور في جسمها كجدول من حليب . ومس سمعها صوت غامض من بعيد ومن وراء الغابة ومن بين التلال .. صرخة غريبة مكثت قليلاً ثم تلاشت وقد سمعتها في ذلك الصمت الرهيب ممزوجة كالموسيقى مع خفوق اعصابها الثائرة . وكان رودلف ، وبين شفتيه سيجار ، يصلح بسكينه احد الرسنين المقطوعين . وعادا الى بونفيل من نفس الطريق .. ورأيا على الطين آثار حوافر جواديهما جنباً الى جنب ومرا بنفس الاجمات ونفس الاحجار المبعثرة فوق الاعشاب . ولم يبد شيء مما حولها قد تغير اما ايا فان التبدل الذي احست به كان اعمق اثراً مما لو تحركت الجبال وغيرت مواقعها . وكان رودلف ينحني من وقت لآخر ويقبل يديها بشغف .

كانت ساحرة وهي تمتطي صهوة الجواد ، معتدلة القامة بخصرها النحيل وقد احنت ركبتها على شعر رقبة الجواد ، واشرق وجهها من ضربات الهواء النقي وانعكاس احمرار الاصيل .

وعند دخولها بونفيل جعلت جوادها يثب مسرعاً فتطلع اليها الناس من خلال نوافذهم .

وعند العشاء بدت لعيني زوجها على خير حال . وقد تظاهرت بعدم سماعه عندما سألها عن نزهتها ، وبقيت جالسة هناك يعلو وجهها السهوم وهي تضع مرفقها على جانب صحنها بين شمعتين ترسلان اضواء مبهمة . قال : – ايا ! ماذا ؟

– حسناً لقد امضيت الظهيرة في بيت الكساندر ووجدت عنده حصاناً صغيراً جميلاً لكنه مصاب بكسر طفيف في الركبة انني واثق في اننا نستطيع شراءه بمائة كراون .. ولما حسبت ان في شرائه ما يبعث المسرة الى قلبك تحدثت في الامر واشتريته فهل كنت على صواب؟ خبريني؟ فأومأت برأسها موافقة وبعد ربع ساعة سألت هل نحن خارجان الليلة؟ نعم . لماذا؟ لا شيء .. لا شيء . يا عزيزي!

وحالما تخلصت من جارلس ذهبت الى غرفتها واغلقتها عليها . وشعرت اولاً بذهول . تخيلت الاشجار والطرق والحفر ورودلف واحست بضغط ذراعيه .. وسمعت حفيف الاوراق وصفير القصب وعندما وقفت امام المرآة ونظرت الى نفسها تعجبت من وجهها ، لم تكن عيناها بهذه السعة وبهذا السواد وبهذا العمق .. هنالك شيء خفي قد غيرها .. وراحت تردد قائلة .. لي حبيب .. لي حبيب ، سعيدة بما اعتراها وكأنها اصبحت اماً للمرة الثانية .. وهكذا واخيراً عرفت لذة الحب ، وحمى السعادة التي يئست من تذوقها ! كان يكتنفها شيء عجيب حيث كل شيء تغمره العاطفة والهيام والذهول تحيطها ابدية زرقاء .. وتألقت عاطفتها المتأججة تحت افكارها وغالباً ما يبدو الوجود بعيداً غارقاً في اعماق الظلال .. خلال ذلك الفراغ السامي .

الخاتمة

واستمرت ايا في حبها المستمر المكتوم وفي تبذيرها حتى ضيق الدائنون الخناق على زوجها ، وكان رودلف غير قادر على تسديد تلك المبالغ الطائلة من النقود . تشرب ايا زرنيخاً تأخذه من خزانة سموم هومايس وتموت وهي تعاني آلاماً جساماً بينا زوجها يصرخ بلا جدوى انقذوها ! وتحطمه النكبة وسوء الطالع فيموت هو الآخر تاركاً ابنتها الصغيرة لحياة الفاقة والعوز الشديد .

بغداد — ماهرة النقشبندي

الادباء في مباذلهم

●

قد يعجب الكثيرون من القراء من هذه الطرائف حول الحياة الخاصة لبعض الكتاب ، اذ انها لا تصفهم في امجادهم ، بل في منازلهم ، حيث يبدعون متحررين من كل تصنع وتظاهر ، فنلمس خصائصهم الانسانية بارزة حية .

يحدث ان تقرأ كتاباً فينقلك الى اجواء سحرية ، تعبق بالجمال والمحبة والحياة . او تشهد تمثيلية وتخرج وانت تحس في نفسك نشوة جذلى ، وحماساً روحياً نبيلاً ، ولكن هل تساءلت كيف كتب ذلك الكتاب او كيف الفت هذه المسرحية .

انك ترغب ، بدافع الفضول ، مفاجأة الكاتب المبدع اثناء كتابته ، لتتراءى لك شيئاً فشيئاً ، سطوره التي تهزك وتوقظ في نفسك اللذة والامل .

ولكل كاتب في الحقيقة طريقة في التأليف ، وعادات خاصة « سيئة وحسنة » . فأحدهم يشترط ، لكتابته شروطاً قد لا يتمكن غيره ، معها ، ان يخط سطرين متواليين ، وبعضهم لا يتمكن من الكتابة الا صباحاً ، والبعض الآخر ينتظر هدوء الليل وصمته الطويل . ورب كاتب اعتاد نوعاً معيناً من الورق ، ذا حجم خاص ، لا يتبدل ، وحبراً يجد الراحة كل الراحة في استعماله ، فهو لا يتحول عنه ولا يمكنه الكتابة بغيره . ضع في متناول الكاتب او الاديب هذه الاشياء ، وهيىء له جو الاليف المعتاد ، ينصرف الى العمل الادبي الفني ويأت بالمعجزات البينات : واحرمه من قلمه الخاص ، وحبره المعين ، واوراقه المعهودة ، تجده متردداً قلقاً تؤلمه الحيرة ويبلبله العجز . قد تقول ايها القارىء العزيز ان هذه « سخافات وتفاصيل تافهة » . ولكنها العادة . العادة العجيبة في طبيعتها وحالاتها ودقائقها . ولم يترك لنا التاريخ شيئاً كثيراً يؤثر حول حياة الادباء المدرسيين الخاصة في القرن السابع عشر ، راسين وكورناي وموليير وغيرهم ، اذ كان ادباء ذلك العصر يفتنون ويتفاخرون في اخفاء كل ما يمت بصلة الى حياتهم الخاصة ، وطريقة كتابتهم بعكس ادباء القرن الثامن عشر ، اذ انهم تركوا لنا ذخراً وافراً وصيداً سميناً .

كان فولتير عبقرياً شامل النظرة ، متعدد نواحي النبوغ ، خصب الانتاج ، فهو كما يعلم القراء ، جاحظ الفرنسيين ، فكانت تتناثر على طاولة عمله عدة مجموعات من المخطوطات ، في كل مجموعة منها كتاب تحت التأليف . ففولتير يؤلف عدة كتب دفعة واحدة ، وفي مواضيع مختلفة ، تتراوح بين التراجم والمآسي الشعرية والقصص الطويلة والتاريخ . وهو يعمل في كل كتاب ساعة ، ثم يتناول غيره ليعمل فيه ساعة أخرى . وهو رجل دنيا ، يحب الاثاث الفخم والزينة الانيقة والرياش الفاخر . اما جان جاك روسو فبوهيمي لا يستطيع الكتابة الا متأملاً في الطبيعة الساحرة الساجية ، ذات المناظر الموحية والآفاق المشعة بالالوان . والاطار الريفي خير دافع له الى التأمل والابداع ، ولذلك كان يقول دائماً : « ان غابة مونتمرنسي هي غرفة عملي » ولما سكن في « باريس » غرفة وحيدة في الطابق الخامس ، مقفلة من جميع جهاتها ، بعيده عن جو الطبيعة الساحر ، لم تعوزه الحيلة فجاء الى غرفته بلوحة تمثل غابة مونتمرنسي وقفصاً كبيراً ترقزق فيه عصافير لا تحصى .

وقد نجد كتاباً يشبهون ، الى حد بعيد ، التلامذة الصغار ، فلا يعملون الا اذا سجنوا في غرفهم وخضعوا لرقابة شديدة ، ومن هؤلاء الشاعر البارناسي ليكونت دى ليل ، اذ ان زوجته كانت تضطر دائماً الى اقفال الباب عليه من الخارج لينصرف الى اعماله



فولتير

الادبية الرائجة . وحدث يوماً ان اقبل اثنان من اصدقاء هذا الشاعر ، لزيارته ، وكان الباب موصداً عليه ، كالعادة . دق احد الصديقين الجرس مرة ، مرتين ، ثلاث مرات ولكن عبثاً . ثم صاح الشاعر من محبسه :

— ان زوجتي ليست هنا . وقد حبستني لاعمل . فانتظرا ، انها لن تلبث ان تحضر . وعادت مدام دي ليل بعد قليل من السوق ، تحمل سلة ضخمة ، وحيّت الزائرين بوجه عابس مكمد ، ودعتهم بفتور الى غرفة الشاعر .

ودارت الاحاديث بين الفرسان الثلاثة ، في الادب والشعر ، وراح كل منهم يتلو بعض ما نظمه او حفظه من الاشعار ، وافضى الامر بدي ليل الى ان يترنم بمقطوعات من مسرحيات راسين وفجأة دخلت زوجته صارخة :

ماذا تعمل يا ليكونت ؟ ! تريد ان نأكل خبزاً يا صاحبي !

وعندما خرج الصديقان ، اسرعت الى القلم ، ووضعته في يد زوجها الشاعر قائلة : هيا هيا الى العمل واستعد ذلك الوقت المضاع .

— ولكنني عملت اثناء غيابك .

— لا بأس . اعمل ايضاً ، فأنت تعلم ان كل بيت من اشعارك يساوي خمسة فرنكات . . وحرام ان تضيع وقتك في الحديث والعبث

واذا كانت التفاصيل حول حياة الادباء في القرن الثامن عشر ، قليلة ، فاننا نجد ، على العكس ، ان القرن التاسع عشر مليء بالذكريات الفنية والادبية والتاريخية التي ترسم صوراً واضحة لطريقة العمل عند اكثر كتّاب هذا العصر المليء . .

والحقيقة ان هؤلاء الادباء كانوا يحسبون حساباً كبيراً لفن الدعاية فلم يتركوا شيئاً من التفاصيل ، حول حياتهم الخاصة الا واثبتوه .

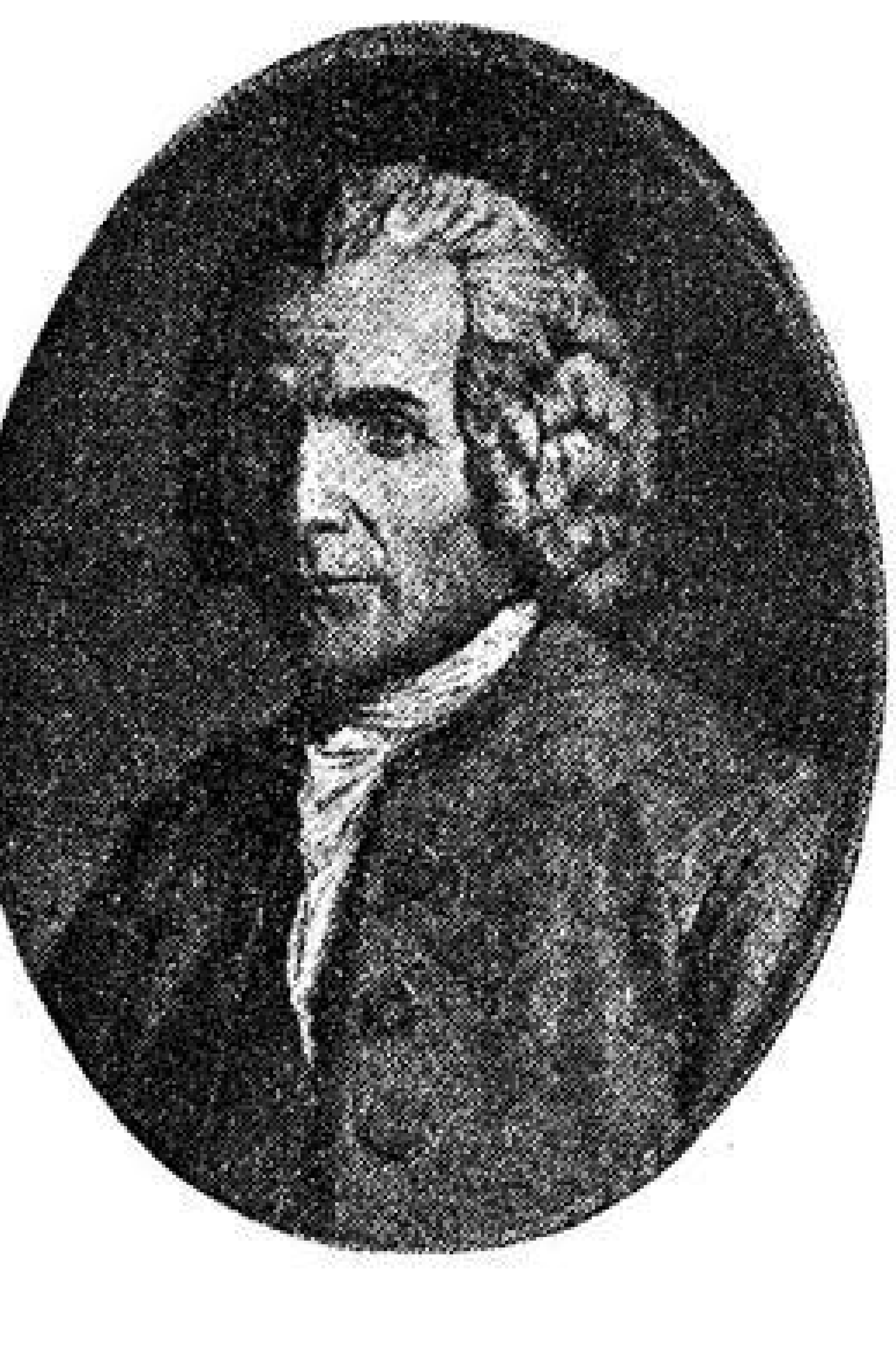
والصورة الاولى التي تقفز الى اذهاننا ، حين نستعرض القرن التاسع عشر ، هي صورة بلزاك الجبار . فقد لبث سنين يؤلف مهزلته الانسانية ، وهي ، كما تلوح لنا ، خزانة ضخمة ، تؤرخ لوجود الانسان تأريخاً شاملاً عميقاً ، غير ان بلزاك بذل في هذه السنين جهوداً جبارة تكاد تبدو خيالية . . فهو لم يوفر صحة ولا راعى ظروفاً ، بل بذل كل ما وهبته الطبيعة من خيال وموهبة وحيوية ، في سبيل الفكرة التي نذر نفسه لها : تصوير الانسانية كلها : الانسانية في صميم الصراع واوج الحركة .

ولذلك نراه يأوي الى سريره في السادسة مساء لينهض في منتصف الليل ويتدثر بثوب مماثل لمسوح الرهبان ، ويجلس الى طاولة العمل ، ويتناول مقداراً كبيراً من القهوة ثم يعمد الى الكتابة الى الظهر . وفي اثناء كتابته ، يرمي الصفحة بعد الصفحة وراءه ، دون ان يعيد قراءتها او يرقمها . وعند الظهر يدخل الخادم ، ويجمع الاوراق ، ويذهب بها الى المطبعة ، وما اكثر الصعوبات التي نجمت عن طريقة بلزاك هذه في الكتابة ، وأمسكت بخناق صاحب المطبعة المسكين . اذ ان الصفحات المرسلة الى المطبعة ، لم تكن في الحقيقة سوى هيكلاً للقصة التي ينوي بلزاك تأليفها . فاذا انتهى العامل من طبعها ، اعادها الى بلزاك ليضيف اليها هوامش وتفاصيل جديدة تكمل القصة وتوضح بعض غوامضها وصورها ، وهكذا اكتسب بلزاك شهرة شبح مرعب في عالم الطباعة والنشر .

وقد اتاح هذا الجهد الضخم لبلزاك ان يترك صرحاً يكاد يكون فريداً في تاريخ الادب الفرنسي ، صرحاً متسعاً اتساع الحياة نفسها ، فما اهمل شخصاً من الاشخاص ولا طبعاً ولا حالة . . انه صور المجتمع وروى قصة الانسان .

ان حرفة الادب ، اذا لزمت اديباً على هذا الشكل ، هي بدون شك من اصعب المهن ، فقد رأينا انها قادت بلزاك الى الموت المبكر ، فاخترمته المنون وهو في الخمسين من عمره ، ولكن الحياة هذه تهون ، في نظرنا ، اذا قارناها بحرفة الادب كما فهمها وعاشها فلوبير . ان ما يميز صعوبة العمل الادبي ، عند فلوبير ، ليس عدد المؤلفات الضخمة

جان جاك روسو



التي تركها ، فانتاجه من هذه الناحية محدود غير انه كان يتحرق دائماً على بلوغ مثل اعلى في الصياغة الفنية ، يحس بان كتاباته ، على قربها من الكمال الفني ، لم تبلغه بعد .



جورج صند في ملابس الرجال

كان فلوبير يقضي الشطر الاكبر من العام في مزرعته قرب «روان» وينفق ساعاته وحيداً في غرفة عمله فتراه جالساً الى طاولة الكتابة ، غارقاً في تأملاته ، منكباً على سطوره ، غير آبه بجمال الطبيعة وبسماتها المتدفقة اشعة وأنساماً من النوافذ المنفتحة على النهر . فاذا حدث ، ورضي عن جملة ، واثبتها على الورق ، اعاد قراءتها ثم حمل الصفحة ، وراح يتمشى في الغرفة ، جيئة وذهاباً ، قارئاً ما كتب بصوت مرتفع رنان ، فكأنه يزن موسيقى الالفاظ في تساوقها ويختبر جرس كتابته المليء الدفاق . فاذا احس اثناء القراءة في اذنه نشازاً او لحناً مشوشاً اسرع الى الطاولة ، وتناول القلم ، وشطب ما وجده سيئاً ، مرضياً ضميره الفني . . وكان فلوبير يدعو حرفته الادبية « حشرجة » لما كان يعانيه خلالها من آلام وحسرات .

وعلى عكس فلوبير وبلزاك ، نجد ان « جورج صند » كانت تتمتع ببراعة سيالة هانئة لا تتوقف ولا تكل . . « فجورج صند » تعيش على الدوام في دنيا فسيحة من احلامها وتأملاتها ولا تجد صعوبة في التحدث الى أبطالها وابراز اشخاصها في اية لحظة شاءت ، فكانت تجلس في المساء مثلاً الى طاولة عملها وتتناول كدسة من الاوراق ذات القياس المعين ، وتعمد الى الكتابة ، وتستطرد ، من صفحة الى صفحة ، دون ان تعود الى صفحاتها الماضية حيث النقطة التي توقفت عندها في الجلسة السابقة ، وتلبث في الكتابة حتى الساعة الرابعة صباحاً فاذا انتهت وسط هذه الساعات الثاني ، من قصة ، فانها تبدأ بقصة اخرى دون توقف او تفكير ، فكانها تكتب ما يملى عليها .

وقد تمتع تيوفيل غوتييه بمثل هذه السهولة في التأليف ، فكان يجلس ، في غرفة تابعة لتحرير جريدة La Presse « الصحافة » لينقد مسرحيات الاسبوع ، فيكتب ، بسرعة ، واتزان ، ودون ان يشطب كلمة واحدة ، كل هذا رغم احاديث عمال المطبعة وضجيجهم .

ان كل ما قدمناه من ملاحظات حول طرق الكتاب المختلفة في التأليف تلقي اضواء كشافة على اساليبهم ، ولهذا خصصنا هذه الصفحات ، لنتعمق في معرفة هؤلاء الكتاب . فرغبة بلزاك مثلاً ، في تصحيح صفحاته ، واضافة ملاحظات جديدة واشارات ، وجمل غريبة عن المجرى العام للقصة ، وتفسيرات فكرية وعلمية وفنية ، كل هذه اشياء ، كما يعتقد النقاد ، تجعل قراءة بلزاك صعبة احياناً .

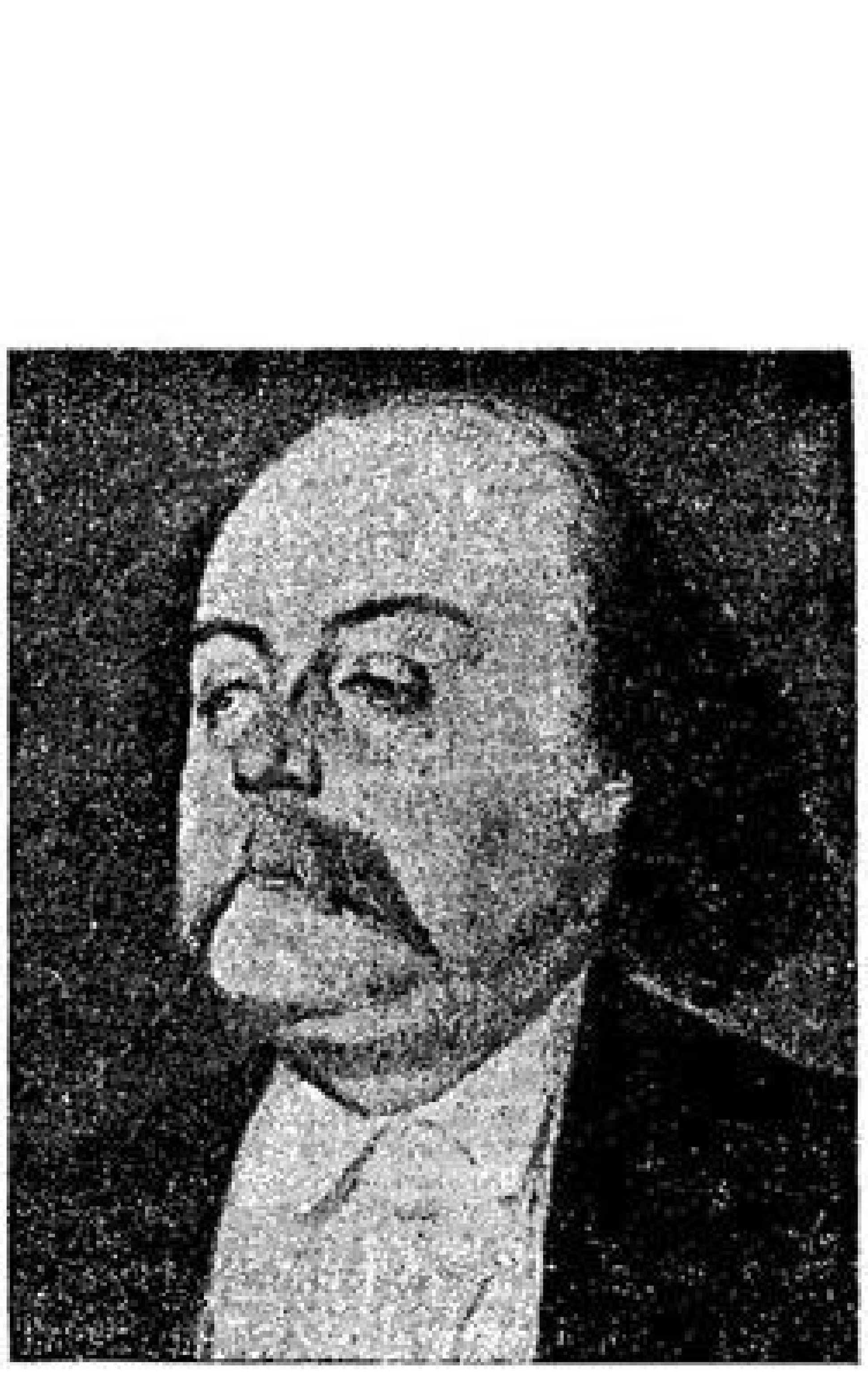
اما فلوبير ، فنستطيع ان نرد صدق التعبير عنده الى الدقة التي كان يتعمدها في التأليف والتصوير ، وسهولة التأليف عند « جورج صند » تحمل الى اذهاننا صورة ذلك النهر العريض المتدفق الهادىء ، في انسيابه البطيء الناعم .

يتساءل البعض : هل هناك من وسائل تعين على الكتابة وتساعد في الابداع وتهيج الافكار العصية ، والتأملات الشاردة؟! ويجيب بعض الادباء بأن الليل هو الجو الصامت الحبيب الى النفس الموحي بأبدع الاخيلة وأدق الخلجات . ولذلك كان « الفرددي موسيه » يصطنع من النهار ليلاً فيسدل الستائر ويوقد الشموع ويجلس ليناجي ربة شعره وعروس الهامه . . ويرى بعض الكتاب ان للموسيقى يداً في التخيل والوحي ، اذ توقظ في مطاوي الوجدان ومسارب النفس ، عالماً سحرياً من الافكار والعواطف ، ولهذا السبب كان الكسندر دوماس الابن لا يكتب الا تحت تأثير الموسيقى .

تيوفيل جوتييه



ولم تكن هذه الاسباب الروحية وحدها وسيلة الادباء والشعراء بل كان هؤلاء يتخذون معها ، وسائل مادية ، فيكتفي الكسندر دوماس الاب بقدح كبير من عصير الليمون وبلزاك بأقداح عديدة من القهوة وغيرهما بلفائف من التبغ كثيرة . . وتدمن « جورج صند »



فلوبير

التدخين » فهي كما يقول تيوفيل غوتييه تستسلم الى حالة من الشرود والغيبوبة والعجز الفكري ، اذا حرمت من لفائفها المفضلة .

والملحوظ ، من ناحية ثانية ان ادمان المهيجات والمسكرات ، عند الكتاب ، غزيري المادة ، يقضي في نهاية الامر على هذه الغزارة فينقطع انتاج الادب فجأة ويخونه العصب والقوة التي تحرك هذا العصب . وهذا ما حدث لهؤلاء البوهيميين ، الكثيرين في الادب الفرنسي ، في المائة سنة من تاريخه ، فكان « جيرار دي نرفال » ، مثلاً يلتقط ورقة من هنا وورقة من هناك ، ويمسك بقلم صغير ، ويخط سطوراً دقيقة تشبه الذر في دبيبها وتعرجاتها . ثم يحشو جيوبه بوريقاته ، وينهض من المقهى الى الشارع ، وهناك يمد يده الى جيبه ويخرج احدى صفحاته العجيبة تلك ، ويعمد الى تنقيحها والترنم بموسيقاها ، تحت سيل من شتائم سائقي العربات وضحكات المتشردين العابثين ، ثم يترك جيرار -« جيرار الطيب » كما يسميه ادباء عصره ، الشارع ، ويدخل الى ادارة تحرير احدى الجرائد ، دون تعيين ، وينادي العمال ، ويدفع اليهم ما في جيوبه من معميات والغاز ، وكان يذهب احياناً الى احد المقاهي ، وينتحي زاوية من الزوايا ، ويخرج ما في جيوبه ، ويبدده على الطاولة الواسعة ، واضعاً رأسه الضخم في كومة الورق ، تلك ، البيضاء .

ولفرلين طريقة اغرب من هذه وادعى الى الاسى . فهو ما كان ينقطع لحظة ، آناء الليل وأطراف النهار ، عن التجول في شوارع باريس ، متشرداً من حانة الى اخرى حاملاً اريج الشعر والوجدان الى حانة ، والشجار واللعنات الى حانة غيرها ، ونحن نذكر وصف الاديب « موريس سيرونك » لفرلين ، اذ يصوره في احدى الحانات ، وقربه صفحة بيضاء عن يمينها الدواة وعن يسارها الكأس ، والشاعر يكتب بيتاً ويرشف قطرة ، كأنه يدنو من الخلود خطوة ومن العدم خطوة . وكثيراً ما كان يدفع ريشته في الكأس دهشاً من لون هذا الحبر الجديد ، على الورق ، بل كثيراً ما نهض ، وسار في الحانة ، صاخباً مترنماً بأشعاره ، ضارباً حوله يمنة ويسرة فاذا صحا ، راح يلعن والديه ، ويشتم عائلته ، ويبكي ، مقسماً انه لن يتذوق الخمر بعد ذلك الوقت ثم يجلس من جديد وينادي الخادم ليأتيه بالشراب الحبيب المنقذ . ولم يوافق هوفمان الشاعر فرلين في الندم على الافراط في الشراب ، بل كان يفتخر علناً بهذه النعمة الالهية كما كان يسميها ، ثم باركت المعرفة جهوده ، واوحت اليه مذهباً خمرياً وشريعة للادباء والفنانين « أنصح لمن يريد تأليف موسيقى كنائسية بخمور الرين المعتقة ولتأليف الاوبرا الرزينة ذات السمت الوقور والتعبير الموزون اوصى بخمرة بورجونيا وللتآليف الابداعية الرومنطيقية ادلك على خمور ايطاليا » والظاهر ان مذهب هوفمان لم يفده كثيراً أفادمن (وهو المشرّع العظيم) نوعاً من الكوكتيل العجيب اودى به الى الكساح والموت السريع .

اعتاد غوته ان يكتب ، كل يوم ثلاث صفحات لا غير ، وديكنس ان يستيقظ باكراً ويكتب الى الظهر . ويعد فيكتور هيجو من اغزر الكتاب الفرنسيين انتاجاً ومن عاداته في الكتابة انه كان يكتب واقفاً ، مستنداً الى طاولة عالية ، او خزانة مقتصراً في النهار على ثمانين بيتاً من الشعر ، لا يتعداها .

واسباب ما تقدم ، من اضطراب الاساليب وتعدد السبل والعادات الحسنة والسيئة التي عرضنا لها ترجع في اغلبها الى العادة ، هذه القوة التي تسيطر على الانسان وتجعله عبداً خاضعاً لها ، الا من عصم ربك .

ونرجو ان نشير في النهاية الى حقيقة مقررة ، لا نذكرها الا لتنبيه قرائنا صغار السن ، الحالمين بالكتابة والابداع يوماً ما . .

ان العادة القبيحة لا تخلق العبقرية . والشذوذ ليس حتماً دليل النفوق والنبوغ ، والشعر الاشعث لا يدل على انك شاعر رمزي نابغ ، والاكثار من احتساء القهوة المرة لا يجزم بانك « بلزاك » عصرك بل يلزم لك ، ياصاحبي الصغير شيئان لتصبح خالداً : الموهبة والعمل . « فالعبقرية ، كما يقول احد الكتاب ، صبر طويل » .

فيرلين ورامبو



موسم المطر

الى ميرا

☆☆☆

لا تظـني الذي أتى لا تظني الذي عبر
من هنا ، غير واحد واحـد من بني البشر
من هنا – هاهنا – اتى من هنا – هاهنا – انحدر
تاركاً فوق جبهتي ما تبينتِ من « أثر »
ويكِ ... ما قدرة السؤال على فض اي سر؟!
اطلقي .. اطلقي الخطى خلفـه تعرف الخبر
ثم عودي لكوخنا – وعلى وجهك « الاثر » –
ان تبينت انه واحد من بني البشر
وتبينت ان لي جبهة تشتهي السفر

***

ها هنا كنت واقفاً انقش اسمي على حجر
وبيمناي .. ما بيمناي من اصبع حذر ،
ماهر في « الهجاء »، في النقش ، في خط ما خطر ،
اتحدى به الصخور بما شئت من صور .
وعلى بعد خطوة من هنـا .. حيث يستقر
كوخنا ، كنت تجلسين الى « الخيط والابر »
تتلهين بالنسيج على مقعد خدر
وتمدين بالغناء على طفلنا الذكر .
ثم احسست بالذي ساقه نحونا القدر
لست ادري متى اتى لست ادري متى ظهر
كان في الافق نقطة غيمت في مدى النظر
ثم ضاءت واقبلت واحداً مـن بني البشر
ثم ضاعت واصبحت فكرة خلف منحدر

***

ها هنا كنت واقفاً انقش اسمي على حجر
وبيمناي اصبع يصنع الجد والهذر
عندما جاء واحد واحد من بني البشر
يرتدي غربة الطريق ويستثقل السير
لفتة نحو كوخنـا ثم – في لحظـة – عبر ،
ساطراً فوق جبهتي – وهو يمضي على الاثر – ،
جملة لم يزل لها ما تبينت من « اثر » .
قال .. ما قال ؟ .. قال لي « نحن في موسم المطر »

***

نحن في موسم المطر. – آه .. ما موسم المطر؟
ويك .. ما قدرة السؤال على فض اي سر؟!
اطلقي .. اطلقي الخطى خلفه تعرف الخبر
واتركيني .. اجل هنا انقش اسمي على حجر
واغني لجبهتي ان بكى فوقهـا « الاثر »،
واغني اذا بكى او دعـا طفلنا الذكر
واذا جاء – مرة طـارقاً بابي – الضجر ،
سيراني – كما اردتِ – على المقعـد الخدر
اصنع « الخبز والنبيذ » من الخيـط والابر
واذا جـاء آخر آخر من بني البشر
سوف ابكي مجيئه سوف ابكي .. وانتظر ..
ارتبطنا .. فلم يعد لي عـن دمعتي مفر .

***

واذا عدتِ – آه لو عدتِ – من غربة السفر
سوف استقبل الجبين واستقبل « الاثر »
بالعيون التي بكت والفؤاد الذي انتظر
واغني انتصـارنا غنوة تشعل الحجر
ثم .. لا ثم .. لا مدى المدى بيننـا انحسر
كوخنا لم يعد هنا لا .. ولا طفلنـا الذكر
سوف نستقبل القدر بالطريق الذي انحدر
والجبين الذي انكسر آه .. في موسم المطر .

القاهرة محمود امين العالم

رائحة الحياة

بقلم
محمد روزنامجي

ذات مساء. شتاء عجوز ، ودنيا يلفها البرد ، والزقاق الضيق يبدو مظلماً مقفراً ، مصباح الشارع ينفث ضوءه الهزيل . اصوات صاخبة تنبعث من المقهى المنزوي في رأس الزقاق . خطوات واهنة تدب على مهل .

— آه ! نهاية المطاف ! عدت الى الجحر ! ودفع الباب الضخم العتيق .. كر .. كر .. كر .. كر ..

وهبت نسمة فأحس لها لذعاً وارتجف ، ودلف الى الداخل .

— يا الله ما اشد البرد ! ، ورائحة نتنة تغشى أنفه — رائحة الفقر ! رائحة حياتنا ! رائحة ؟ ولم لا يكون للفقر رائحة ؟ اليس للغنى رائحة ؟ واغلق الباب العتيق فعاد يبعث صوته الكئيب .. كر .. كر .. كر .. — اوه ! ، وزفر بحدة ، — نغمة الابد ! خمسة عشر عاماً .. الزقاق .. والجحر الخرب .. والباب العتيق هو هو .. يفتح ويغلق والاشباح الهزيلة يمجها فتعود !

وسمع آهة خافتة ، وحشرجة واهنة ، وهو يرتقي الدرج المتهدم

— شيخ محمود ما يزال يصارع المرض .. يا للشيخ المسكين ! ظل يحمل اعباء الستين عاماً .. ستون عـاماً ، والداء الخبيث ينخر صدره ، جيفة حية ! آه جيفة ! نفاية من لحم ودم .. نفاية ؟ اجل نحن نفايات رمى بها القدر في قمامة ، اوه ! مزبلة ، ورائحة نتنة ، لون اسود ، ذباب يطن ويتراكم بالحاح ، عمر يبعث على الغثيان ! ، وتأوه جازعاً ، شيء مخيف ان نمارس البؤس ونتجرع الشقـاء ، والسنون تتراكم بشكل فظيع ! السنون السوداء ، الذباب يطن ! وسرت رعدة في جسده ، فارتجف هلعاً ، وهو يتخيل انه سيصبح يوماً ، يوماً ليس ببعيد ، في مثل حال الشيخ محمود . — غفرانك ربي ! ما عدت اطيق التحمل . واحنى رأسه ودخل غرفته ، واكتنفه الظلام ، ومد يديه يخرج علبة الثقاب ، وتحسس طريقه ليشعل المصبـاح .

وانبعث الضوء الخابي يتراقص كأنه اللهاث ، والغرفة المعتمة تبدو مسودة الجدران . وتهالك على السرير الخشبي ، فانبعث صريره يئن ، واقشعر جسده ، والظلال الغامضة تتراقص . — زنزانة ! وتذكر الزنزانة ، الجدران السود ، والباب الحديدي ، والكوة الصغيرة ينسرب منها النور .. النور ؟ الشيء الوحيـد الذي كان يراه من العالم الخارجي ، فيذكره باصرار انه ما يزال حياً ! النور ؟ ما اشد ما كرهه ! النور ؟ والاحلام الراعبة . آه ! زنزانة سوداء ضمته كالشحيح ، وامتصت عصارة شبابه ثلاث سنوات ، ثم .. لفظته الى العالم !

— أوه ! ، وزفر متألماً ، والضوء يتراقص ، ما اشقى حياتي ! واحس بالتعب يسري في جسده ، — التعب ؟ آه التعب ، اوصاب الحياة ، الراحة ، الراحة ؟ آه واحة خضراء تلمح من بعيد ، فيثب قلب الضارب في التيه .

— احمد افندي ، ارتفع صوت من الغرفـة المجاوره ، كيف الحال ؟

— الحال ؟ وضحك بمرارة ، الحال هي الحال ، لا شيء قد تبدل ! الثور لا يزال معصوب العينين ، آه ثور ! ثور الناعور ، هل فكر ان يتساءل يوماً عن النهاية ؟ ما عليه الا ان يدور ثم يدور ، وانا ؟ أنا ما افتأ ادور واخطو ولكن اي معنى لهذا الخطو التائه ؟ آه لو افهم ؟ وسمع الجـار يردد في خفوت — الله كريم ! الله كريم ! وتذكر ما كان يقوله الملا عثمان ، يوم كان يتعلم عنده ، وطرق اذنيه صوت يرتعش واهناً — للفقراء نعيم الآخرة ، المال من اوساخ الدنيا ! نعم .. نعم ، لا يزال يتذكر نصـائح الملا عثمان . اين هو الآن ؟ استراح راحة الابد ! وترجرجت ابتسامة واهنة على شفتيه وانفلت نغم شجي الى اذنيه ، وصوت ينبعث متحشرجاً من راديو المقهى الصغيرة .. أف .. آف ، كآبة معتمة ، دنيا سوداء ، قدر ارعن انتقى له كل ما في جعبته من شقاء ، له وحده ؟ لا ! لا انه فرد من طائفة قدم لها القدر الواناً باذخة من الشقاء ! دار خرب ، جحر مظلم ، جحر جرذان ، زملاء البؤس وصحاب الشقاء ، والباب العتيق ونغمته المعهودة . آه ! خمسة عشر عاماً ، يوم مجته الزنزانة ، وبعد ان نفض يديه من الدنيا ، واحس بيد عجفاء تقبض عـلى قلبه ، يوم ضمها القبر ! وشعر بدمعة يتيمة تتزلق على خده ، وتذكر كيف كان يعيش معها ، غافلا عن الزمن . ولكن .. دق القدر بابه خلسة ، ووقعت حليمة فريسة المرض ، وجاء يوم نفد ما كان يدخره ، واضطر لان يمد يده الى مال الناس ثم .. فصلت الزنزانة بينه وبينها ، اراد ان يشتري حياتها ، فدفع ثـلاث سنوات من عمره ، ولكن ، ويطن الخبر في اذنيه ، انتاشها الموت ! وتلفظ السنوات الثلاث انفاسها ، وينطلق الى الدنيا . — آه حليمة ماضر لو جمعنا الموت ! الموت ؟ الحيـاة ؟ وهل انا حي يعيش ؟ أوه ! لقد مت من زمن بعيـد ، ولكني لا ازال جيفة حية تسعى ، تنتظر الالواح والحفرة الحالكة .. آه الالواح ! الحفرة ! نصيبنا من الارض ! وتململ في ألم ، فارتفع الصرير الناحب ، — ما افظع الانتظار !

وطرقت اذنيه انة وولولة — الشيخ محمود يحتضر وابنته تولول .
وعاودته صور بعيدة ، امي ! وتذكر عندما كان في السابعة من عمره ، واستيقظ ذات يوم ، ورفع عقيرته كعادته . . امي . امي ! ولكنها لم ترد ، وكانت كتلة من لحم ! وتذكر كيف جاء والده متجهم الوجه ثم . . حملوها في الواح الخشب ، وهو يصرخ متشبثاً بها . آه ! ما يزال يتذكر ، الحفرة المظلمة التي فغرت فاها ، وتلقفت الواح الخشب ، واهيل التراب !

— احمد . . احمد . . اصح يا ملعون ! الفجر وأذانه ، صراخ اجش راعب ، وصفعة قاسية على قفاه ، وينتبه مذعوراً ، ليجدها على رأسه كأنها الغول ! نعم زوجة ابيه ! لا يزال يتذكر كيف هرب بعد سنتين في ليلة ظلماء ، ليضرب في الارض ، وينفر من غول الشقاء . . زوجة ابيه ! الى اين؟ مضى يضرب في الوادي الاخضر ، وتمضي سنوات من العمر الحالك ، ثم تلتمع ابواب الامل بغتة ، ويلتقي بحليمة . آه ! ذاك حلم وتوارى . وظل يركض ساغباً وراء الامل ! ومد ساقيه الباردتين — كأني جرح يتنزى في اعماق الليل! ما اشتاني يا رب ! ، صوت متحشرج يئن ويخفت ، الليل ؟ طالما تعذب فيه ، الليل كافر ! النوم ؟ الارق ؟ احلام راعبة والصرير الناحب ، آلام تنتفض في جوانحه ، وتنهش في الاضلاع ، آه الليل ! واحس انه ما عاد يطيق الانفراد بنفسه ، فنهض يجرجر رجليه ، ومضى يعبر السلم .

— اوه ! رائحة نتنة ، فهيمة . . فهيمة كيف حال الشيخ محمود ؟

وارتفع صوت خافت — على الله! وانتفضت تنشج في سكون .
وجذب الباب الضخم ، وانطلق يقطع الزقاق ، والسنة البرد تخزه كالاشواك ، والسماء تتلألأ نجومها ، والقمر يطل في كلل ، وارتفع صخب المقهى ، ودلف اليه ، وضجيج الزحمة يهدر في اذنيه ، ولعلع صوت الاسطة حسن .

— اهلا احمد افندي ، استرح . . كرسي يا ولد !
وانتفض الشارب المتنفش يرتجف . وتهالك على الكرسي ، واخرج كيس التبغ — نرجيلة يا ولد . ومد بصره يخترق الزحمة يتأمل الوجوه — آه ابداً سمات الفقر ، ورائحة الفقر ، قدر وحش !

واقبل صبي المقهى يحمل النرجيلة ، ومد يده الى خرطومها ، يمتص نفساً ، فتأججت النار ، وارتفع صوت النرجيلة . . قر . قر . . قر . .
زحمة خانقة ، دخان متكاثف يتلوى ، اصوات مختلطة ، والراديو يبعث موسيقاه الكئيبة — اوه ! المقهى ، الاجساد الهزيلة ، والوجوه الشاحبة ، جيف الاعماق ، رائحة نتنة ، رائحة حياتنا ، حياة ؟ موت ؟ آه ! المعنى واحد !

— كيف الحال احمد افندي ؟ ارتفع صوت الاسطة حسن ، ورقص الشارب الكث ، وانتبه ورفع رأسه اليه ، واغتصب ضحكة باردة .

— الحال؟ تسأل عن الحال يا اسطة حسن ؟ وأية حال تبدلت؟ هي هي لا ازال انتظر !

واعتدل الاسطة حسن في جلسته ، ومسح شاربه الكث ، وفتح فمه فالتمعت اسنانه المسوسة .

— اترك الحزن يا احمد افندي ، هي ايام وتنقضي ، كل الارض للزوال ولا شيء يدوم الا وجه ربك .

وامتص نفساً طويلاً ، فالتمعت الجمرة الحبابية ، وارتفعت القرقرة الرتيبة .

— الزوال ؟ النهاية ؟ وانتفض بغتة على ولولة ناشجة ، مزقت الصمت في الزقاق — فهيمة ، شيخ محمود ؟ النهاية ؟

وعصفت ريح باردة ، وامتدت سحابة حالكة فلهث القمر واختفى ، وأومضت النجوم وأفلت في وهن ، والشارع يبدو مظلماً الا من ضوء المصباح الخابي ، ونهض يتحامل على نفسه ، وانطلق من المقهى ، ولمع البرق فجأة فارتجف ، وابتدأ المطر ينهمر ، فتكور على نفسه ، ومد قدميه الباردتين ، وطفق يعبر الزقاق الضيق ، وهزيم الرعد يلعلع صاخباً ، ودفع الباب العتيق . . كر . . كر . . كر . . رائحة نتنة ، رائحة حياتنا ، الحفرة ، الواح الخشب ، آه الراحة !

بغداد — محمد روزنامجي

من سلسلة الامالي الادبية

احمد فارس الشدياق موسوعة لغة وادب

بقلم نسيم نصر

مدير الدروس العربية في كلية الشويفات

اذا كان ادب النهضة الحديثة في لبنان موسوماً بالهلهلة والسهولة ، ولا سيما في الربع الثاني من القرن العشرين ، فذلك لاسباب كثيرة نعتقد ان اهمها اثنان: الاسترسال مع البداهة في عصر السرعة ، وهيبة الموروث اللغوي العظيم عن طائفة من الادباء اللبنانيين نخص منهم بالذكر اثنين الشيخ ابراهيم اليازجي واحمد فارس الشدياق .

واماليتنا هذه عن احمد فارس الشدياق .

الشدياق عشقوتي المولد حدثي* المنشأ رافقت طلوعه على الحياة حوادث خاصة ربّت في صدره التمرد واندفعت به في كفاح الاديب المتحرر من كل تقليد والمتفلت من قيود المذهبية ، فكان جوابة فكر ورحالة اسفار . فمن لبنان حيث انبلج فجره الى مصر بدعوة من المرسلين الاميركان ، وهناك حظي بتقدير محمد علي باشا الكبير فعهد اليه بتحرير « الوقائع المصرية » .

ومن مصر الى مالطة ، الى جامعة كامبريدج في انكلترا ، معلماً مصححاً، ومنها الى باريس حيث حملت اليه ريح المصادفات باي تونس، وكانت قصيدته في صاحب تونس آنئذ ، معارضة ، طوت الاجيال لتجري، من غور الفكر الحديث في مسابك العربية العصماء، فرس رهان الى جنب لامية كعب بن زهير في مدحه الرسول العربي الكريم.

وحمله تكريم الباي وتقديره على سفينة خاصة الى تونس فتولى تحرير « الرائد التونسي » وحسدت الاستانة تونس على الاديب الشاعر فارسلت الصدارة العظمى العثمانية بامر السلطان عبدالمجيد ، تطلبه من أحمد باشا ، فجاء عاصمة بني عثمان ، وقد سبقه اليها شعره في صاحب العرش، وانشأ هناك جريدة «الجوائب» اول جريدة عربية جارت الصحافة الغربية بقسط وافر من التوفيق وأطلعت على دنيا العرب صحيفة تفننت فيها عبقرية احمد فارس ، في اساليب السياسة والعلم والادب والدعاية، في بيان لم تعرف العربية اعلى منه في عصورها جميعاً .

واجدر ما يستحق التنويه به في هذا المقام ان « الجوائب » ، وليدة ذلك القلم اللبناني الفذ ، اعتبرها ساسة الغرب ، ردحاً من الزمن ، ترجمان الشؤون الشرقية .

وكان الشدياق في كل ما دبّج يراعه، محيطاً بشعث اللسان العربي ، يقوم بيانه فيها على اربعة اركان صامدة للتاريخ خالدة بخاود لغة الوحي والتنزيل ، وهي: ذوق المنقح اللغوي — حكمة الاجتماع — التهكم الفلسفي — الاعتداد بالنفس .

ومن ينكر على صاحب « الجاسوس على القاموس» والساق على الساق » و« سر الليال في القلب والابدال » احاطته الواسعة بمفردات اللغة العربية وامتلاكه خواص معانيها ، وفيها مدهشات الابحاث اللغوية الموفقة التي تترك المطالع مقتنعاً بان المؤلف سامي الموهبة كامل العدة في هذا المجال، واسطع مؤهلاته كلغوي هي ذوق الواضع يأخذ ، بين يديه ، قاموس الفيروزابادي ، ويرى ، مثلاً ، ان صاحب القاموس يورد لفظة قاء بمعنى فاء فيرفض هذا الترادف، حكماً ذوقياً، وما يزال ينقب حتى يعثر في قاموس، لسان العرب، على ما نصه :«تفيأت المرأة لزوجها تثنت عليه وتكسرت تدللاً والقت نفسها عليه، من الفيء وهي الرجوع » ،وقد ذُكر ذلك في القاف، قال الازهري» وهو تصحيف والصواب تفيأت بالفاء. ومنه قول الشاعر.

« تفيأت ذات الدلال والخفر لعابس جافي الدلال مقشعرّ »

ولم يقتنع ذوق الشدياق الوضعي في العربية ، فاستمر منقباً ، ليجد فاء في غير معنى رجع فوجدها ، كما يريد ، بمعنى تحرك الخيلاء في القول العربي القديم المأثور : « مثل المؤمن كحافة الزرع تفيئها الريح مرّة هنا ومرة هناك » . ثم طالع « الاساس » في باب فاء فوجد فيه ما نصه :« وفيّأت المرأة شعرها حركته خيلاء وتفيأت لزوجها تكسرت له وتميّلت غنجاً الخ » .

وليس المقصود من هذا الشاهد التدليل بالرجوع الى التحقيق اللغوي الذي نريد ان نحدّ من سعته في هذه الايام، بل جل ما نرمي اليه هو ان نعرض المترجم عنه محققاً يجري متقدماً في هذا المضمار فيحدّ من سعة الترادف اللغوي المنافي الذوق الوضعي والنابي عن

* نسبة الى قريتي عشقوت والحدث في لبنان

القابلية الاقتباسية. فهو لا يحقق ليخرج بعذر المتقدمين وانما تحقيقه مشذباً مهذباً ينزع الى ذلك بقسط عظيم من الغور والاحاطة والذوق.

وهكذا يعتمد الشدياق على ذوق الواضع علاوة على الذكاء والجلد والتنقيب ليجعلك تعقل عقله وتسلم له بصحة ما يقول دون ان تحمل نفسك عبء البحث والدرس وفي عمله هذا شهادة صادقة بانه جمع في صدره خزانة لغة فضمن للفصحى قيمتها من الضياع في عصر خبا فيه نور العلم في هذه البلاد وتجهمت سماء المعارف وقام منفرداً بمهمة مجمع علمي منظم

اقتصرنا على اليسير في تعريف احمد فارس الشدياق فارساً مجلياً في ميدان اللغة لنعود اليه حكيما اجتماعياً ينثر الحكم تارة وطوراً ينظمها، فهو اذا ما نثرها فعن قلم بليغ وفي كلام مترابط التعبير جزل الالفاظ، فانظر اليه بعد قامه الى تصحيح لغة ابن المقفع في الحكايات التي وردت في «اللفيف في كل معنى طريف» مأخوذة عن كتاب كليلة ودمنة فهو يقول بدلا من: «راس شجرة» ذروة شجرة، ومن ذاهبة في السماء، باسقة، ومن نقل العش، جمعه، ومن لا يمكنها ذلك، لا يتم لها ذلك »، والتصحيح الذوقي الوضعي في اللغة دأبه في كل ما يؤلف وينقل.

وكتاب اللفيف مجموعة صغيرة الحجم كبيرة الفائدة فيها من قيمتي مؤلفها: الكثير من متانة اللغة والنافع من حرية الفكر.

اما شعر الشدياق فعظمه في المدح، والمدح باب من ابواب النظم كان له مرتبة عالية في سالف العصور العربية، فلا ارى من المهم ان نتناولها للبحث في حين ان ديوانه حافل بما يمت الى ادب العصر بصلة مباشرة نتبين فيه على وضح العقل والحس ادب الشاعر، كشعر الحكمة، رفيق العصور كلها في الآداب العالمية. واكثر حكم الشدياق الشعرية في ذم الدنيـا التي آلمته في عزيز عليه وفي نفسه ايضاً، وكان يرسلها ابياتاً متقطعة كلما عاودته غصة الالم او عنّ له ان يهجو الناس والزمان فتؤلف هذه الناحية من شعره صورة لكفاح الاديب العاثر الحظ عثاراً نفسانياً ان لم يكن مرتبياً في الناس، ولا مبالغة في القول ان هذين البيتين:

بنو الدنيا أتوا امراً قبيحاً   بان كلِفوا بامهم غراما
لذلك قابلتهم بالرزايا   فكانت ما حبوا لهم لزاما

من الحكمة الجامعة واقع الحياة ما يدعو الى الاعجاب، فالعقاب ملازم غرام الابن بامه، غرام الانسان بامه الارض.

والاعجاب يرتفع الى الدهشة لقوله:

أرى غاية اللذات قبل ابتدائها   فمن اجل هذا لست انعم بالدنيا
فان هي الا للذي طاش فكره   فلا يرهب العقبى ولا يرقب الثنيا

فالشدياق في هذين البيتين سابر غور الدنيا ولذاذاتها عارض لنا ماهيتها عرضاً موجزاً في نصف بيت من الشعر:

«أرى غاية اللذات قبل ابتدائها»

ومن منا لا يشعر بان الفترة من الزمن التي تسبق عهد اللذة أنعم للنفس من طعم اللذة نفسها وذلك لمرارة خوف الزوال التي تستولي على الناعم اثناء الاستمتاع.

ولا اريد ان انتقل من ناحية الحكمة الاجتماعية في أدب الشدياق قبل ان اقدم من شعره ما يصل بين حكمته واعتداده بنفسه قوله:

اذا ما رمت من دنياك امراً   فلا تك بالهنيء ولا المريء
فقد طبعت على أخلاق أنثى   وما خلب النساء سوى الجريء

لا شك في ان هذا الشعر لا يتوفق اليه غير من طُبع على القوة ومال الى الاقدام فاستعان ادبه فلك زمام الجرأة الادبية وكان رجلا في دنيا الانوثة. لا أراني مضطراً الى الاكثار من البينات لاضع اعتداد احمد فارس الشدياق بنفسه وتهكمه الفلسفي خصومه موضع اللمس في ادبه وهو القائل:

ارى حولاً في عين دنياي انما   تظل ترى لي ثانياً وانا فردُ
فمن اجل ذا ضنّت بشطر معيشتي   وما حاضر نديٌ وما نده يبدو

الم يكسر شاعرنا الرقم القياسي الذي وضعه المتنبي للاعتداد بالنفس وتحقير الخصوم اذ قال:

«ان اكن معجباً فعجب عجيب   لم يجد فوق نفسه من مزيد»؟

الم يصل في نسبته الحول لعين دنياه برؤيتها له ثانياً، وهو فرد، الى غاية شعرية تحبب اليك هذا الفخر الواسع المدى؟؟.. واغرب من هذا كله ان الشدياق يتعمد الفلسفة كثيراً حتى في هجائه، اوليس في هذا البيت:

«كيف يدري شيئاً وما هو شيء   ان هذا في حيز المستحيل»

نموذج هجاء. فلسفي يجعل البيت الواحد افعل في نفس الخصم من قصيدة ذم طويلة قاسية.

ومن اراد زيادة ايضاح عن هذه النـاحية في ادب الشدياق فليطالع قصيدته البائية المنشورة في عدد الجوائب رقم ٢٥ ومطلعها:

وَيْلي على هذي الجوائب   جاءت عليَّ من النوائب

ويخلص منها بقوله:

لو كان هذا الخلق مثلي   كان كلهم أقـارب

وخلاصة القول ان احمد فارس الشدياق اسدى الى العربية فضلا كبيراً، قد يكون في وقته وفي حين الحاجة اليه، ابقى قدراً من عصر كامل من عصور العربية، هذه اللغة التي حلت هـذا الجيل الجميل بعدنها الثمين فصهره لها سبائك ونظمه قلائد وطلع به على العالم، وكان من امهر صاغته هذا الفارس الذي اراج سوقهـا ايام الكساد وصقل جوهرها بعد ان علته الكدرة وتكاثف عليه الغبار.

نسيم نصر

ارتواء

☆☆☆

ترى لمَ التقينا ؟
الم نكن في خاطر الغيب
وشوشات المجهول للغد...

وفي الهوى شيء من المحال
شيء من المبدع سرمدي...

همست بنا شفاه الجنّ
قبل النور والرؤى
اسطورة التجسيد في المولد

عرفنا من الحب
عبق البخور والشذى...
وكيف تجوع روح ، وكيف تقلق...
وكان ارتواؤنا كظمأ المحبَّ للخالق

غنى اللهيب فحيح الجمر في لقائنا
فأطفأ الشعلة غدّ يعي
وتعرّت ملائكة الحور تغني...
انشودة الايمان بي وبك

واشار الله لنا
سبحانه ... من مبدع خالق

...ترى لمَ التقينا ؟
ليتنا بعد لم نلتق ! ...

البير أديب

حب الحياة عند ابي العلاء

بقلم ربيع الصلح

بعد تأمل هادىء خرج الينا المعري بنظرة متشائمة يائسة، وبعد تفكير عميق رغب عن الحياة وبشر بالفناء العاجل وكأنه الامل البعيد الذي يريحه من عناء الوجود، او النهاية الحبيبة التي تزيح عن كاهله المتعب رداء الحياة الثقيل . فهو ينعي علينا هذه الانفاس اللاهثة التي تتصاعد في الفضاء لانها ستضيع فيه كالهباء الناعم، فما في هذه الدار الفانية شيء يستحق ان نسعى اليه ونلقى العناء في سبيله، وما بعد الفناء الا اصداء حزينة تتردد في معبد الوجود وكأنها الرنين الخافت الذي يلي سكون الناقوس .. وبعد هذا هل تستحق حياة كهذه ان نحزن اسفاً لها او نضطرب جزعاً عليها ؟؟ وأي خلود نبغي واي آفاق مديدة نريد ؟؟ انها تسير نحو غاية واحدة هي الفناء الذي نضطرب منه ونتباعد عنه دون سبب ندريه وكأنه كابوس مخيف .

هنا يبرز ابو العلاء بفكرة جديدة واضحة المعالم متماسكة البنيان .. فهو يرى ان هذا الكابوس المخيف قد حبب الينا الحياة وزين لنا البقاء بكل ما فيه من متاعب وآثام .. فهذه النهاية التي ستظللنا بعد حين قد ارهبتنا بغموضها ورهبتها ففضلنا البقاء في هجير الشمس على السكون في نعيم الظلال ولكن دون ان ندري أين موضع الشقاء واين يكون النعيم ؟؟

نحب العيش بغضاً للمنايا ونحن بما هوينا الاشقياء

اذن لم يكن حكمنا على الحياة مصيباً، ولن يكون، ما دمنا نخاف النهاية ونخشى الزوال، فهذا الحب الذي نخص به الحياة كان ايثاراً منا لشيء معروف على شيء غامض مجهول لا ندركه ولكننا نخافه ونخشاه لغموضه وقلة ايماننا بخيراته .. من اجل هذا كان الحكم الى الخطأ ادنى منه الى الصواب، فهو مشوب بالرهبة، مقرون بالمفاضلة العقيمة بين شيئين متمايزين احدهما واضح مستبين والآخر غامض مجهول ..

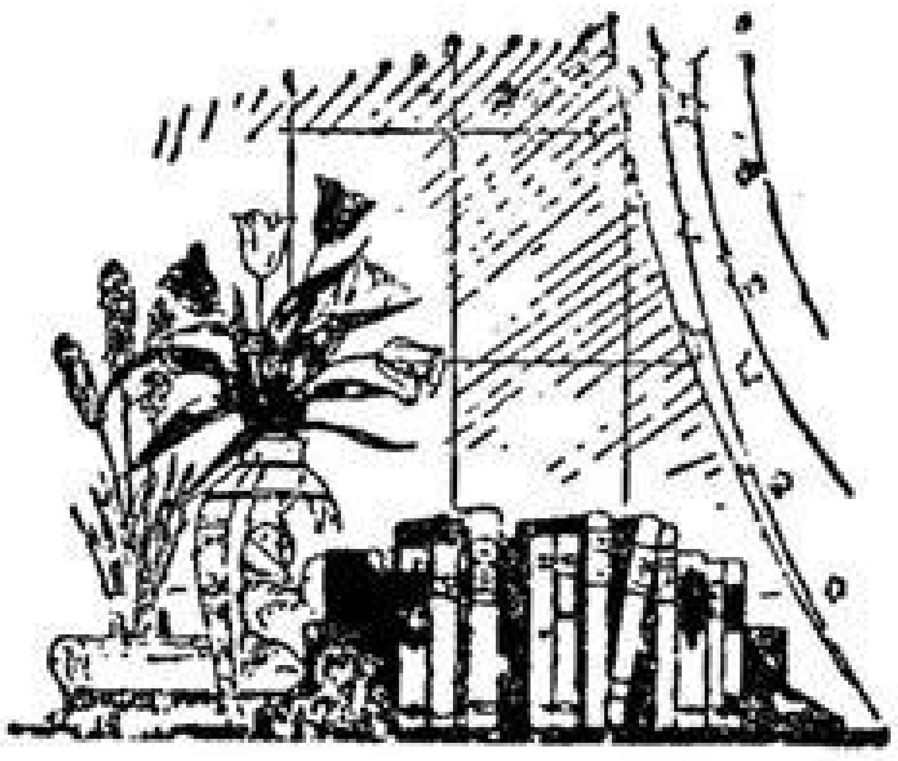
وهكذا هدم المعري صرحاً كان شامخاً في محراب العقل الانساني كالخرافة في نفس البدائي ليبني على بقاياه هيكلاً جديداً اساسه استبشار وتفاؤل وان عجبت وانكرت بعد ان امعنا من هذا الشيء الكثير .

وقد بلوت العيش اطواره فما وجدت فيه غير الشقاء

فهذا الحكيم البصير يرى غير ما نراه فقد نفذ ببصيرته الى اعماق لم نبلغها بعد لاننا لا نزال نعيش فوق الارض او بين النجوم، فالشاعر تاه بين اطياف اوهامه وامانيه باحثاً عن الالهام العلي ليجد لفكرته الشاردة سبيلاً الى الوجود .. والمصلح غاب في لجة الحياة ينظر ويدقق عله يرى من بعيد شعاعاً ضالا ينير للانسانية سبيل الخير والبركة فيوضع فوق جبينه اكليل الغار، والناس يتبعون هذا بقلوبهم وذاك باحلامهم وأمانيهم بينما كان المعري يبحث عن شيء آخر قد تناساه الجميع، فهو في حيرة من امر هذا الحب المقيم لهذه الحياة الفانية فيتساءل : امبعث ذلك رغد العيش وهناءته ونحن جميعاً نئن من ضربات القدر بصمت وسكون ؟؟ ام نراه خوفاً ومهابة من نهاية مجهولة لا بد منها ؟؟

بعد هذا التأمل العميق ادرك سراً كان خافياً على الجميع فاستجابت له نفسه وهفا اليه قلبه كما يهفو الطائر الصغير الى عشه النائي الامين فرغب عن العيش وزهد بطول البقاء وكأنه قد ادرك سر الوجود فرغد العيش ولينه وتراقص الآمال وغروبها كل ذلك قد لا يغرينا بالحياة ما لم نهب ذلك المارد الهائل الذي قد يقبضنا بعد حين، فهو وحده حببنا بالحياة بما فيها من مذلة وصعاب وكأننا نفضل استمرار

الاديب



☆

لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر يناير (كانون الثاني)

تدفع قيمة الاشتراك مقدماً وهي

الاشتراك العادي:

في لبنان وسوريا : ١٢ ليرة

في الخارج : ١٥٠ قرشاً مصرياً او ٦ دولارات ونصف

في الولايات المتحدة ١٠ دولارات في الارجنتين ٥٠ ريالا

اشتراك الانصار :

في لبنان وسوريا : ١٢٠ ليرة كحد اعلى

في الخارج : ١٤ جنيهاً مصرياً او استرلينيا

او ٦٠ دولاراً كحد اعلى

☆

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر

●

للاعلان تراجع ادارة المجلة

●

ادارة الاديب : باب ادريس ، شارع الكبوشية

تليفون	الادارة : ٤٧ — ٩٢	Direct. : 92 - 47	Tél.
	المنزل : ٣٧ — ٤٨	Dcle. : 48 - 37	

●

صاحب المجلة ورئيس تحريرها : **البير أديب**

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب — صندوق البريد رقم ٨٧٨

بيروت — لبنان

الالم الوئيد المتمهل على الالم العظيم الذي يجعل منا حطاماً لا روح فيه ولا آمال : . فنحن كالمريض الذي يفضل ان تستمر آلامه وهي تذويه ببطء على ان يعمل فيه مشرط الجراح بعنف فيرتاح من آلامه ومتاعبه دفعة واحدة ليتابع حياته من جديد . ولهذا فنحن لا نرغب في الحياة حباً بها او املاً بنعيمها ، وكل ما في الامر اننا نخاف النهاية ونخشى الفناء . . وليت حكمنا كان مبنياً على رأي راجح او فكر صحيح . .

تلك كانت نظرته . . وتلك كانت آراؤه ، فهو متشائم ولكن هناك ما يدعوه اليه وهو متفائل ايضاً ولكن هناك ما يدفعه ويحببه اليه ، انه يرى في الفناء شيئاً لا يرعب ولا يخيف اذ لا يحق لنا ان نتهم الغيب بالمنكر والبشاعة بل على العكس من ذلك فهو يدعونا لان نتفاءل ونستبشر بعد ان سعينا في ضير الحياة المسعور فاذا بنا نتتهي الى ما يشبه البداية .

لهذا كان متشائماً من هذه الحياة التي خبرها وعرف من أمرها الشيء الكثير ومن اجل هذا ايضاً كان متفائلاً بالنهاية التي ستدركه بعد حين بل وحتى انه كان يستغرب كيف اوهم الناس بانه لا خير فيها وهم لا يدرون من امرها شيئاً فأقبلوا على الدنيا يروون ماءها بنهم عجيب وكأنهم يريدون ان ينهلوا من النعيم قدر ما يستطيعون قبل ان تنطفىء لهابة الروح فتهمد الحياة ويعم السكون المخيف . . فالمعري مع الناس على خلاف ، يتشاءم مما يتفاءلون . . ويتفاءل مما يتشاءمون فهو يستبشر بالفناء بينما يهابه الناس . وينعي الحياة التي خبرناها معاً بينما نحن نغمض اجفاننا عن آلامها خوفاً مما يستبشر به ويتضاءل منه . . فنحن اشبه بالزرافة الحمقاء التي تغمض اعينها ظانة بانها قد اصبحت بمنأى من عين الصياد الحريص لتجتر ما بجوفها قبل ان تخر صريعة فوق الرمال .

بعد هذا كله نستطيع ان ندرك شيئاً كان خافياً ولكنه انكشف له بعد تفكير طويل . . فليست الحياة في ذاتها هي التي تغرينا بالبقاء وليس الامل بنعيمها هو الذي يدفعنا لان نتعلق باسباب العيش بل ان هاتفاً عميقاً كان يتردى في اعماقنا منذراً بالفناء فاستجبنا اليه دون تفكير وكانت الحياة تحول فيما بيننا وبينه فتعلقنا بأسبابها كما يتعلق الملاح الخائف بقاربه الهرم جزعاً من نهم البحر .

وهكذا بدأ تشاؤم المعري فأخذ ينظر الى الدنيا من وراء غمام اسود .

دمشق — ربيع الصلح

قبر شاعر

مهداة الى روح علي محمود طه

فوق صدر الربوة السمراء .. يرتاح ضريح
فوقه الصفصاف يبكي .. والعصافير تنوح

والفراشات عليه تتهاوى ذاهلات
ناثرات تبرها الزاهي دموعاً خافقات !

ويمام السفح يأتي نحوه عند المساء
بجناحين من الوجد وتوق الشعراء !

ها هنا الشاعر اغفى عن اباطيل الحياة
عن ثرى الاثم .. عن السهد .. وبث الزفرات ..

فاراح الروح من جسم ترابي حقير
تنتزي رغبات الارض فيه وتمور !..

بعد ان عاش غريباً بين ابناء التراب
جسمه في الارض .. لكن روحه فوق السحاب!

في فضاء ازرق الانوار وردي الظلال
كل ما فيه غناء .. وعبير .. وجمال

***

ايها الشاعر كم افنيت في الارض السنين
ترمق الخلد بلحظ غام ذهلاً وحنين

تبتني في رعشة الوحي عروشاً وقباب
لونها من شفق الافق ومن جرح السراب !

بيراع بات مسلولا وذابت رئتاه !!
يطعم الطرس ، متى الهمت ، من باقي دماه

وسراج روحه بعض فتيل دون زيت
مات فيه اللهب المخمور اذ انت انطفيت !

فؤاد الحشن

التائهة

هذي نهايتك الاليمة يا فؤاد وذا المصير
لمن الشكاة اذا تفجرت الدموع ومن يجير
الريح تلفح جسمي الذاوي ويصهرني الهجير
لا ظل لي آوي اليه ولا وقاء ولا نصير

عبثاً افتش في الفلا
فانا هنا
وحدي

عبثاً اريق مدامعي وأبث آهاتي سدى
قلبي يمزقه الصراخ ولامجيب سوى الصدى
وشفاهي الظمأى تحسس في الثرى اثر الندى
قست الحياة وعذبت نفسي فرفقاً يا ردى

لا تمح من عيني السنا
فانا هنا
وحدي

لا صدر يسندني ولا كف تمر على الجبين
لا مقلة ترعى خطاي على متاهات السنين
خبت المنى وذوى الرجاء فلا تلحي يا عيون
لن تبصري في ذي الفلا احداً يغيثك اويعين

قد تهت في درب الهنا
فانا هنا
وحدي

جاء المساء فما اعد من المخاوف والعذاب
ماذا أرى ؟ رباه تلك احداق الذئاب
تدنو رويداً ، من تخاف اذا دنت ممن تهاب
مني أنا تخشى ! أمن هذي البقية في الثياب

يهنيك يا ذئب الفلا
فانا هنا
وحدي

أ إليك ايتها الشقية يزحف العدم الرهيب
ماذا حملت من الشرور وماجنيت من الذنوب
ليصير قلبك نهبة بين المخالب والنيوب
وتمزق الاسرار في نهم ويختنق الوجيب

ويلفني صمت الفنا
وانا هنا
وحدي

بالامس ما كانت لترهبني الرياح ولاالسباع
كانت تسدد خطوتي عين ويسندني ذراع
واليوم كل مقدس بيد البلى امسى مشاع

غدر الدليل واسلمت يده الوديعة للضياع

ولّى وخلفني انا

اقضي هنا

وحدي

بغداد — لميعة عباس عمارة

ذكرى

قد كان ما كان وانقضى الوطر واغرقت في التقادم الذكرُ

وانبتّ عهد الهوى وكنت به اسعد مما تظنه السير

قلبي دليلي فأين شئت مشى بي موكب يستخفه البطر

أدب في الليل خاطراً نزقاً بل افعواناً مجسّه خطر

حيث البيوت التي بجانبها قوم من الناس ما لهم نظر

وحيث يحيا بها على مرح في بؤرة الاثم زمرة فجرُ

نهارهم نائم وليلهم سهران لا ينتهي له سمر

وكلهم يعبدون آلهة يصبو اليها المعربد الاشر

ابليس خلاقها وحارسها ومن كأبليس حين يبتكر

عصائب للذائذ اجتمعت ماجنة لا يردها قدر

ليس لهم في الحياة غير هوى طاغ به للهموم مزدجر

من نغمات لها الغرام مدى مدله في اريجها عطر

او لهفات تكاد من لهب الرغبة توري لظى وتستعر

وأكؤس بالسلاف شارقة فيها من الوجد والهوى شرر

***

كم فتنة للوصال ظامئة يجسد الحب قدها النضر

بت ولي في فراشها سكن بل جنة يانع بها الثمر

جسم يكاد الحرير من شغف عليه ينقد حين ينحسر

تألفت نعمة الحياة بها وائتلقت فهي للمنى صور

لاتدري هل صدرها احب الى طاويه، ام خصرها وما يزر

كلاهما ممتع يشف على طبع لديه عن الهوى خبر

***

قد كان ما كان وانقضى وعدا علي دهر في طيه الكدر

فبت والغاشيات في نفق تأبد الليل فيه والضجر

تختنق القلب والضمير ولي من كل صوب عوائق كثر

الكويت — « ابهر الحياة »

كابوس

يا ضنكاً صدري به يزرح ! والليل ؛ عن افقي ، لا يترح !

اغلق لي نافذتي ، بالدجى ، فكيف استجلي ، واستوضح ؟

وغرفتي تسبح في رهبة ، تثقل اضلاعي ، بما تنضح

فتنثني الاشباح مجنونة ، تصخب من حولي ، ولا تبرح

عاقدة لي اوجهاً اظلمت ، في وسطها ، اعينها تقدح .

***

ما لي ؟ فان الذعر يطغى على روحي، ويضنيها بما ينضح .

تخدرت اعضاء جسمي ، ولم يعد بها ، من عصب ، يصلح

كأنها الاطواد مهدومة فوقي ، باعباء لها تفدح .

***

كفاك يا حلمي .. فما للمدى يغص بالظلماء ، اذ المح !

وهذه الاشباح ، ما بالها تقرب ؟ والرؤيا بها تقبح !

تقرب مني ، وانا خائر ، وليس لي جهد به اكبح .

واثرها ، من جنسها ، عصبة تسعى ، واجوائي لها مسرح ،

تشابكت اذرعها ، وانبرت ترقص حولي ، وهي لا تفصح ،

وقد علت انفاسها فجأة ، كأنها ؛ من تعب ، تضبح ،

وذلك الشيطان ، في وسطها ، مسترسل ، جن به المطمح ،

***

ماذا ارى ؟ بل اي حلم انا فيه ؟ وما الذعر بي يجنح ؟

امد كفي ، ابتغي لولباً للنور ، لكني لا افلح ،

والصخب المهتاج ، لا ينثني يزداد ، والاشباح تستروح ؟

فلا اعي غير صراخاتها تجرح ، من سمعيَ ، ما تجرح ،

وغير اقدام ، على اضلعي ، تضرب ، والرقص بها يجمح .

دمشق — تيسير شيخ الارض

عواطف

الى الشاعرة فدوى طوقان

قل الى الزهرة التي تملأ العين وتسقي العقول اشهى مدام

ابسمي فالظلام يعقبه النور ويمحو الصباح كل ظلام

ان تطوفي على الزهور تريها باسمات اليك كالمستهام

او تحلي بين الطيور صباحا تحديها تحبوك بالانغام

***

فامرحي فالشباب ذرات حسن هي في الكون عنصر للجمال
واستفيقي من النواح قليلاً وابسمي في الوجود للآمال
انت ولهانة وكل جمال تبتليه الحياة بالاثقال
فتغني مع الطيور لدى الفجر ولوذي بوارف الاظلال
فالصباح الضحوك يبعث في النفس حياة ويلهم الوجدانا
والهزار الطروب يحابه الفجر جمالا فيرسل الالحانا
فارسليه مع الصباح قريضاً كالاغاريد واتركي الاشجانا
وتباري مع الهزار غناء وارسلي الشعر في الربى تحنانا

***

يا فتاة اكبرتها وهي تبكي كيف لو ابصرتك عيناي نشوى
خلتني فيك مغرماً مستهاما انما الفن فيك اكبرت «فدوى»
انا اهوى الجمال في كل لحن عبرات تحدرت ام نجوى
فاغمرينا بكل فن جميل وارسليها مع النسائم شكوى

القطيف – المملكة العربية السعودية — محمد سعيد الجشي

ظـل

ايها الظل، يا اسير خطايا ورفيقي في موحشات دروبي
مطلق انت، ما لخطوتك الرعناء تأبى الا اقتفاء هروبي!
ان في صدري المتهدم سراً مضه الكبت فانضوى في شحوبي
وتلظى في مقلتي بريقاً مفزعاً، فيه صوت يأس رهيب
سوف امضي به بعيداً، أواريه مع الليل قبر صمت كئيب
ثم انسل راجعاً، وسأنساه، كما اعتدت، في جنون اللهيب!
انا هيمان ايها الظل في دنيا شقاء عبدت فيها ذنوبي!

بغداد — عبد الرزاق عبد الواحد

كليتي

كعبة قمت على الربوة في فجر الخلود
نحوها نمشي مع الصبح بقلب طاهر غض، سعيد
فنرى طيف قباب في سنا الافق البعيد
ومناراً مثل سهم شع رمزا للوجود
كعبة قمت على الربوة في فجر الخلود

***

كم لعبنا الامس احداثاً، بمغناك الرحيب
ونشدنا فيك آمالا، منى، حلم القلوب
ونظرنا القبة البيضاء في ساع المغيب
وارتدينا الشفق الاحمر في وقت الغروب
كل هذا مر بالامس، كحلم لا يؤوب
كم لعبنا الامس احداثاً بمغناك الرحيب

***

قد قضينا فيك عهداً عابقاً نورا وسحرا
مسمعاً بين طوايا القلب احلاماً وذكرى
فائحاً بالورد بالانوار، بالانغام عطرا
ضائعاً بين خلايا الروح، في الاعماق نشرا
قد قضينا فيك عهدا عابقاً نورا وسحرا

***

انت نور، فيك علم يغمر الروح سناه!
داوياً لحناً خفوقاً، يملأ النفس صداه
وحنانا – يوثق النفس بما مر – عراه
فكأني فيك روح، شع من روح الاله
انت نور، فيك علم يغمر الروح سناه!

***

أنتِ انتِ صورة تذكرني ايام أمسي!
فارى طيف خيالي قارئاً في السفر درسي
في طوايا صدره «توراة» آمالي ويأسي
فيسيل الدمع من عيني في طهر وقدس
أنت انت صورة تذكرني ايام امسي

***

انت لحن الامس والآتي وأحلى ذكرياتي!
بين اطيارك قد عشت زماناً من حياتي
انت من احييت نفسي، فيك قد كونت ذاتي
كلما طافت بي الذكرى ارنت نغماتي
انت لحن الامس والآتي واحلى ذكرياتي!

تونس — محمد فريد غازي

مكتبة الاديب

بعد النكبة

لقدري حافظ طوقان - ٩٦ صفحة - منشورات دار العلم للملايين بيروت

« بعد النكبة » من احدث الكتب العربية ، وآخر كتاب للعالم الاستاذ قدري طوقان ، وهذا المؤلف يبحث في السياسة والاجتماع ، ويتسم الى حد بعيد بطابع علمي رتيب . وقليلون هم القادرون على الجمع بين العلوم الرياضية او الطبيعية من جهة ، وبين السياسة من جهة اخرى، لان العالم المنغمس في الارقام والمعادلات والاحصائيات ، تنشأ في نفسه مع الزمن ملكة التجربة والاستنباط في ناحية معينة ، فيعرض عن غيرها من النواحي .

الا ان ذلك النفر القليل من العلماء الذين لم يعجزوا عن الربط بين العلم والسياسة ، اثبتوا انهم اكثر الناس استجابة ، لما يفرضه الاضطلاع السياسي على المرء من وعي لحقائق الامور وفهم لعبر التاريخ . فهم اصحاب عقول وسيعة وافكار رتيبة ، لا تنتابها البلبلة ، ولا يتطرق اليها الضلال . وهم اذا حاولوا معالجة مشكلة سياسية ، عالجوها بوحي من عقولهم وافكارهم ، فتأتي معالجتهم دقيقة ؛ فيها براعة السبك ، وفيها بعد النظر ، وفيها الرأي السليم المبني على واقع الحياة .

والاستاذ قدري طوقان ، من المعروفين لدى قراء العربية في جميع اصقاعهم ، وله مؤلفات كثيرة معظمها في العلوم الرياضية والطبيعية . ومع ذلك فقد نفذ الى ميدان الحياة ، منذ وجد في نفسه القدرة على معالجة مشاكل الناس ، وادلى بدلوه في ساحة النضال السياسي ، مساهماً مع المساهمين في خدمة امته ، ودفع الاخطار عن الكيان العربي الذي تهدده بالانهيار وهذه مقالاته السياسية التوجيهية المبعثرة بين صفحات كتبه ، وفي الجرائد والمجلات المحلية والعربية ، والمذاعة على الاثير ، كلها تشهد بطول باعه ، وتجاوب نفسه مع نفوس مئات الالوف من ابناء العربية ، الذين يتطلعون الى يوم يرقى فيه العالم العربي الى مستوى لائق .

وكتاب « بعد النكبة » نشر في بيروت في الشهر الماضي ، وجمع بين دفتيه مادة نفيسة زاخرة بالمعاني والعبر والتوجيهات . وهو من الحجم الصغير يضم حوالي مئة صفحة جاءت فصولها متلاحقة ، تتوارد بيسر كجدول ماء منساب لا تعترض طريقه حواجز او عراقيل . وانت اذا حاولت ان تمر بنظرك مروراً عابراً فوق صفحات الكتاب استرعى انتباهك قبل كل شيء ؛ التتابع الجميل الذي يصل بين الفصول . فتقرأ اولا عنواناً نصه « حول عدم صلاحية العرب للحياة » ثم عنواناً آخر نصه « العرب بين الغرور والشعور بالنقص » وثالثاً « اركان البناء » ورابعاً « العلم والحياة » وخامساً « موقفنا من العلم » وسادساً « نقطة التحول » وسابعاً « نقطة الابتداء » .

ويبدو واضحاً لمطالع الكتاب ان فصوله مستوحاة من محنة فلسطين ، ومن الاخفاق الذي لحق بالعرب منذ خاضوا معركتها . وعلى ضوء هذه الحقيقة انصبت جهود المؤلف فوق ما يجب على العالم العربي اتباعه ، ليحول دون تكرر المأساة وليمضي سراعاً في ادوار البناء والتعمير مجنباً نفسه مزالق الفناء وساعياً الى الحياة الحرة الطلقة المنتجة التي تساير روح العصر الحاضر ومتطلباته .

واستطيع ان اقول ، ان ابرز الافكار في الكتاب هي تلك التي عالج فيها المؤلف وسائل بعث الثقة في نفوس العرب، واستنهاض هممهم وانتشالهم من كبوتهم . وكذلك الفصول التي عالج فيها اهداف المدرسة الصالحة التي تنشىء اجيالا تكون لها الغلبة في المستقبل . والفصول التي بحثت اهمية الاسلوب العلمي في الزمن الحاضر وضرورة التمسك بالاسلوب العلمي والاهتداء به حينما تحاول الدول العربية الاخذ بامر من الامور او تنفيذ اجراء من الاجراءات . ولم يغفل المؤلف كذلك ناحية الصناعة المهمة التي اصبحت من مقومات الحياة ومن اول ضرورياتها . وفي رأي الاستاذ طوقان « ان العالم يعيش الآن في جواء الصناعة وعليها . فهي الطابع الذي يتميز به هذا العصر . والامة التي لا تعنى بالصناعة ولا تعمل على تنمية قابلياتها الزراعية والصناعية واستغلال امكانياتها ، لا يمكنها ان تعيش وتحافظ على كيانها وكرامتها ! » .

ولن يغيب عن مطالع الكتاب ايضاً ، كيف انصرف هم المؤلف بشكل ظاهر الى الكيان العربي ، والى السبل التي تضمن له البقاء والازدهار . وهو في هذه الناحية يذوب حرقة على

عالمنا العربي الذي نزلت عليه المصائب ، وحل به الكلال، ودهمته اعاصير الاستغلال والاستعمار ، وربض فاغراً فاه ، عاجزاً عن تغيير الوضع ، غير ساع الى استبدال سياسة الارتجال في اعماله بسياسة بينة واضحة قوامها العلم والرقم والاحصاء . وانت ايها القارىء لا يسعك وانت توالي تقليب الصفحات ، الا ان تبهر بالرأي السليم ، تجده في هذا الفصل وذاك ، وللحجة الدامغة والتحليل الصحيح القائمين على العلم والمنطق .

يقول المؤلف في الفصل الاول « حول عدم صلاحية العرب للحياة » بعد ان برهن ان العرب لم يراعوا روح العصر ولم يسيروا على هدى العلم في روحه واساليبه (ولكن مهلاً . . فالعرب كسائر الامم ، فيهم قابلية التقدم والارتقاء ، لا يفضلهم شعب ، ولا يتميز عليهم عنصر) . وحسبنا هذا دليلاً لنعرف ان الاستاذ قدري حر النزعة ، يشجب كل رأي سقيم ، يدعي وجود فروق عنصرية بين البشر ، مما ذهب اليه كثير من الفلاسفة والعلماء . وحسبنا هذا ايضاً لنعرف اننا قادرون على مجاراة اندادنا من شعوب العالم ، التي اوغلت في ميادين الحضارة ، شريطة ان يفسح لنا المجال ويمهد امامنا السبيل .

وفي موضوع « المناهج وخطوطها العريضة » المنبثق عن فصل « اركان البناء » يضع المؤلف اغراض التربية الواجب استهدافها في المدارس . ولعل تلك الاغراض هي خير ما يوضع من اهداف لاخراج اجيال مثقفة مهذبة تقدر مسؤولياتها تجاه نفسها وتجاه الوطن والمجموع .

واما في باب الصناعة والثروات الهائلة الكامنة في بطن الارض ، في البلاد العربية ، والامكانيات المختلفة فيها ، فان المؤلف يذكر ارقاماً يذهل القارىء لها . جاء في الكتاب « ان العرب يملكون امكانيات واسعة عريضة بهرت الخبراء وادهشت الفنيين . فلقد ثبت لدى الاجانب ان البلاد العربية غنية بامكانياتها المعدنية والنفطية ، وان العالم العربي يقوم على تربة تجري من تحتها انهار من النفط تحوي اكبر كمية في الكرة الارضية كلها » . ويذكر في مكان آخر « ان مجموع المدخر النفطي في الاقطار العربية يقرب من الف مليون طن ، وان مجموع الانتاج اليومي في المملكة السعودية في ثلاثة الاشهر الاولى من العام الماضي بلغ ١٥٤ر٤٦ طناً ، ومع هذا فمن المؤلم ان نشير الى ان العرب لا يستفيدون شيئاً يستحق الذكر من هذه الامكانيات ، بل ان خيراتها ونتاجها تعود الى الشركات الاجنبية ودولها الاستعمارية » .

وخلاصة القول ، ان هذا الكتاب ثروة كبيرة ، املاه عقل تقدمي كبير ، وفكر بارع واضح الاهداف ، ونفس نزاعة الى الخير العام ، والى استتباب السلام في العالم وخاصة في هذا الجزء منه . وهذا الكتاب ولا شك رسالة من رسائل الاصلاح ، عساها ان تترك في نفوس القراء ، هي وباقي المؤلفات الحديثة المستوحاة من عبرة فلسطين ، الاثر المطلوب ، فتجني الشعوب العربية ثماره .

رام الله **عقيل هاشم**

ثورة شاعر

عبث — لصفاء الحيدري — مسرحية شعرية — ٤٨ صفحة
منشورات الوقت الضائع — بغداد
اوكار الليل — لصفاء الحيدري — قصيدة — ٣٨ صفحة — مطبعة التقدم — بغداد

قد تقلب الصحف وتتصفح الكتب التي تطالعك كل اسبوع في بغداد فلا تجد للثورة الفكرية فيها نصيباً يغريك بمطالعة هذه الصحف وتلك الكتب . لانك ستمر باشياء مألوفة وموضوعات مكرورة ولكن عنوان هذه الكلمة كما اظن اغراك بقراءتها واذا كنت من اصحاب الامزجة التي لا تتأثر لاقل شيء وباقل شيء فقد تثور علي لاني لم احدثك بما انتويت ان احدثك ، وما فكرت ان تجده من ثورة شاعر ، لاقراءة سطور فارغة ، ولكنك لو صبرت واعطيتني نصيبي من الموضوع لوجدتني ملزماً على ان اثور على المألوف الممجوج من اساليب النقد وطرق التقريظ .

ان عنوان كلمتي وحده اغراك بالقراءة فكيف لو ذكرت لك « عبث » و« أوكار الليل » والتقيت بهما فعلاً ؟ ثق انك لتجد في عبث ما لن تجده في كثير من دواوين الشعر العربي المعاصر . انها لثورة ، وثورة في الشعر الجديد رسمها صاحبها الصديق الاخ الشاعر صفاء الحيدري بعبث ، فكان عابثاً في العنوان ، مجداً فيما وراءه . . انها لثورة :

تمر بالفجر فتسود من	دخانها جبهة ماضيه
وتخشع النار لها كلما	مرت بوجه الارض تشويه
كأنها السنة من لظى	يفحها جرح مآسيه
حمراء لم يصمد لاشواطها	الا الدجى ، الا لياليه

والك ايها القارىء ان تتملى هذه الابيات السريعة الكثيرة الصور وعليك ان تستجليها صورة صورة ومعنى معنى لتعرف الشاعر كما اعرفه .

لقد كنا لا ننتظر من شعراء بغداد التقليديين ان يطالعونا بمثل هذا الشعر فقد عرفنا سمتهم وبلوناه ، حتى الفناه على علاته

فزهدنا فيه. بل كنا ننتظر ان نقرأ الشعر الجديد في مجلات بيروت والقاهرة احياناً.. ولما التقينا بأوكار الليل، باكورة الحيدري، ظننا بالشاعر خيراً، حتى فاجأنا «بعبث» صار الظن يقيناً فهو شاعر يرجى.

ولك ايها القارىء ان تنصت معي الى هذا الشاعر الغريب الاطوار الثائر على الانماط التقليدية في هذه الابيات حين يحدثنا عن الحب.

يجوع بي حب فاجئته ... طفلا وارديه بادراني
وجوع قلبي مارد كلما ... قصصت من جنحيه أعياني
تعصف بي الرغبة حتى اذا ... أشبعتها أشقيت حرماني

لا شك لدي ان في هذه الابيات نصيباً كبيراً من التوفيق في الموسيقى، فرنين الشاعر لا ينقطع وكأني بالشاعر يرى في الشعر ما لا يراه الآخرون لكأني به يحس ان الدنيا لحن موسيقي «موسق» كما يقول احد ادباء الفرنسيين..

ويبلغ التصور في شعر شاعرنا الذروة، حين يصف شعوره الغريب فهو يجسد لك الصورة مأطرة بالاطار الفني البارع، لا تنقصها خلجة من خلجات التعبير او حركة من حركات الشعور فهو حين يصف الاخيلة مثله حين يصف المرأة، وهو حين يصف الرغبة مثله حين يصف الحب ولكن اساوبه يتغير في الاداء:

اخيلة عرى يئز اللظى ... على مآقيها بوهج عجيب

فأي لون هذه الاخيلة الغريبة؟ عودنا شعراؤنا «حفظهم الله» على الاخيلة الناعمة الفاترة المهمهمة ولكن الشاعر هنا جعل في هذا البيت من الالفاظ ما لم يسبقه احد اليه من قبل لان ميزته الابتكار قبل التمرد المألوف، فانظر الى (عرى) والى (يئز) (اللظى) والى (وهج) تدرك انك امام شعر جديد: فقد احتشدت كل هذه الصور لا الكلمات في بيت واحد لتعطي صورة واحدة مهولة.

واسترسل معي لنقرأ:

وأذرع كأنها حية ... عارية للثدى، شيء رهيب
وبعد.. والسيقان عريانة ... كأنها اعمدة من لهيب
تساقط الرغبة من حولها ... وترتمي في عشبة لا تثيب
ترمقها الاعين في سيرها ... ويشتهيها اي شخص غريب

وانتقل معي ترى كيف يصف الشاعر الناس وماذا يقول عنهم:

اشباح دنيا شتتتها يد ... الله والقتها بحقل كئيب
كأنها تعجن اثداءها ... خبزاً شهياً لاله مريب

والى هذا الحد من الكتابة اجدني اود ان اختم كلمتي لانني اود ان تتطلع الى عبث، ولهذا لم احدثك عن المسرحية التي هي (عبث)، بل حدثتك عن شعر في عبث.. ولكني احس في نفسي شيئاً يلح علي في ان لا اختم كلمتي هذه قبل ان انهيها بشيء من هذا الشعر الموسيقي ما دمت حدثتك عن الشعر لا المسرحية.

يا فجر خذها من فمي لعنة ... حمراء لا تروى ولا تبرا
عجنتها بأدمعي رحمة ... فأطلع الدهر بها جمرا
واغترفي يا ارض ما لم يكن ... لله من آثامي الحمرا

وختاماً فان مسرحية عبث محاولة موفقة في التجديد الشعري وبرهان قاطع على مدى تطور الشعراء. فالى الشاعر الحيدري تهنئتي وتقديري.

بغداد — ابراهيم عوبديا

الخبأ رقم ١٣

لمحمود تيمور بك – ١٧٩ صفحة – حجم متوسط – دار الهلال بمصر

يقول المؤلف في مقدمة هذه المسرحية الممتعة الزاخرة بالحياة والحركة، والتي قدمها للقراء في نسختين احدهما بالفصحى والاخرى بالعامية: « ان الكاتب المسرحي يخطر بباله اول وهلة ان روايته للتمثيل على المسرح، وانه سيخاطب الجمهور على تباين طبقاته، محتم عليه ان يطرق الآذان بما الفت من لغة، ويجلو للعيون ما عرفت من مشاهد حتى يأخذ عمله الفني سبيله الى اعماق القلوب، لا ترده وحشة ولا تعوقه غرابة، فان تخللت روايته كلمات يتعذر فهمها على النظارة في الجملة، كانت الصلة بينهم وبين الممثلين غير مأمونة الانقطاع، ومتى انقطعت الصلة ذهب التأثير وضاعت الفائدة المرجوة من الادب المسرحي ». « وان دور التمثيل لهي في الحق مجالات للمتعة الذهنية واللهو البريء، وان كانت مع هذا تحمل رسالة تهذيبية في مغزاها، ومن حسن الكياسة الا يكدر المسرحي صفاء تلك المتعة ورقة ذلك اللهو بان يقدم للجمهور شيئاً يستغلق عليهم فهمه وتخفى معانيه، فامثال هذا صفحات الكتب الماثلة لعين القارىء يعيد من جملها ما يستعصي، ويفكر في مدلولها ما شاء، وللمسرح منحاه في التعبير الواضح الجلي، يؤثر في رواده على اختلاف المشارب والثقافات ».

« ورب سائل يقول وهل تعجز الفصحى عن التعبير الناصع في الموضوع الذي يتناوله كاتب المسرحية والجواب انها لا تعجز ابداً ولكنها لغة الكتابة لا لغة الحديث، وترجمان الثقافة الخاصة لا ثقافة الشعب، فهي بهذه الصفة لا تستطيع ان تبلغ رسالته المسرحية الى اشتات الطبقات التي تشهد دور التمثيل ».

ليل Night

لمحمد غازي – شعر باللغة الفرنسية – ٣١ صفحة
حجم متوسط – دار الشمال بتونس

الانسان.

سأتغنى بامجاد الانسان.

اخي الانسان . . وهو رفيقي . . وهو ذاتي . .
هو فارس لا يهاب ولا يعاب . .
يقف على حدود آفاق الليل .
وسط الغابة الدامية . .
التي لا تعرف قانوناً ولا رحمة .
من دمائنا .
سينبثق الفجر العظيم . .
الحب . .
والسلام . .

ذكريات مشاهير رجال المغرب

تراجم لعبدالله كنون – عدد الصفحات في كل من الاجزاء الثلاثة تباعاً ٤٧ – ٣٩ – ٣٦ – حجم متوسط – منشورات معهد مولاي الحسن بتطوان

وهي دراسات قيمة في تاريخ الادب في المغرب وقد عرض المؤلف في الجزء الاول منها سيرة الشاعر المغربي عبد العزيز الفشتالي وشعره ، وفي الجزء الثاني يترجم للعالم الاديب ابي القاسم الزناتي ، اما الجزء الثالث فخصصه المؤلف للوزير ابن ادريس .

والدراسات الثلاث تجمع الفائدة والتدقيق الى كونها لطيفة الاسلوب ، سهلة التناول – تعكس صوراً مجهولة بالنسبة للقراء العرب ، من تاريخ الادب العربي في المغرب . ومؤلفها الاستاذ الشيخ عبد الله كنون الحسني عالم فاضل وباحث مدقق له تآليف عديدة عن ادب المغرب .

آلام صديق

لفرحان راشد الفرحان – قصة – ٤٥ صفحة – حجم متوسط – مطبعة الكويت

. . « لقد مات ابي وتبعته امي قبل سنتين وليس لي احد من عائلتي غير ابنة عم بعيدة عني . . اني الآن محرومة من كل قلب يعطف ويحن علي ويمكن ان تتصور ظمأي الهائل لقلب حنون » . .

وكأنها لم تشأ ان تسترسل في كلامها اكثر من ذلك فترامت عليه تلتهب وجداً ، وضمته الى صدرها ، من كل قلبها « حامد . . انني احبك . . احبك » .

وكان صديقي في هذه الآونة يسمع ذلك وهو يفكر في موقفه من هذه المرأة وموقف المرأة منه فتارة تنفر نفسه وتشمئز من رائحة الخيانة الرخيصة ، وطوراً يترفق في لومها حاسباً (لعله يقصد متذكراً) خيانة زوجها لها وشأن الطبيعة وناموسها في المرأة ، وهو لا يعرف عزماً ولا تقاليد وازدحمت في ذهنه الخواطر ولم يستطع ان يفوه وهي تطوقه بذراعيها العاريتين بأكثر من قوله : ولكني لم اشاهدك سابقاً .

قالت : اما انا فقد كنت اشاهدك مراراً تمر امام منزلي وتجتاز الطريق مطرقاً برأسك الى الارض في ادب واحتشام » .

سوريا ولبنان وفلسطين في القرن الثامن عشر

ترجمة حبيب السيوفي – ١٢٧ صفحة – حجم متوسط – هدية الرسالة المخلصية بصيدا

وهو كتاب مفيد طريف يتضمن ذكريات الرحالة فولني من كتاب الفرنسيين في القرن الثامن عشر عن ولايات حلب وطرابلس وصيدا ودمشق وايالة فلسطين وقد خصص الصفحات الاخيرة منه للفلاحة والصناعة والتجارة والفنون والعلوم وعادات السوريين وبعض طباعهم في ذلك العصر ، نقله الى العربية الاستاذ حبيب السيوفي ، وهو لطرافته ، ودقة نظر مؤلفه ، وتجرده ، وتيسر الترجمة الصادقة عند ناقله الى العربية ، جدير بالاهتمام والمطالعة .

ظهر حديثاً

اسلاك – خواطر ومقالات لاميل الحايك – ٩١ صفحة – حجم متوسط – بيروت

وثبة الحق – مسرحية تاريخية في اربعة فصول – للاب ايوب موسى فلوح – ٧٤ صفحة – حجم متوسط – مطابع الرهبانية الشويرية بيروت

دليل دعاة الاتحاد في سبيل وحدة الكنائس المسيحية الظاهرة ١٢٥ صفحة – حجم متوسط – هدية مجلة المسرة – حريصا – لبنان

مشروع الجامعة العراقية – الجزء الاول من مجلة المعلم الجديد السنة الثالثة عشرة – ٧٨ صفحة – حجم متوسط – بغداد

ذكرى اليوبيل الفضي لمعهد سيدة مشموشة – للرهبانية اللبنانية المارونية – ٤٧ صفحة – حجم متوسط – لبنان

صوت الطالب – نشرة يصدرها طلاب ثانوية المأمون بحلب العدد الاول – ١٠٤ صفحات – حجم متوسط – مطبعة الاديب – حلب

تشذيب منهج النحو – لشاكر الجودي – ٨٨ صفحة حجم متوسط – مطبعة المعارف – بغداد

شعراء الخمريات والغزل عند العرب – دراسة بالفرنسية – لرياض المعلوف – ٢٠ صفحة – حجم صغير – مطبوعات المجلة الحديثة باريس

علاقة تدريس التاريخ بمبدأ السلام العالمي – بحث – لراشد طبارة ٤١ صفحة – حجم صغير – المطبعة الكاثوليكية – بيروت

المنظمات الصهيونية – بحث تاريخي – تعريب المحامي كمال عبد المجيد – ٧٣ صفحة – حجم متوسط – مطبعة اليقظة – بغداد

اسرار الانقلاب العسكري الاخير في سورية – لسليم طه التكريتي ٩٣ صفحة – حجم صغير – منشورات البصري – بغداد

التقويم العصري الشمسي الجديد – ابراهيم محمد عبيد – صاحب المكتبة الوطنية بالبحرين – ٣٢ صفحة – حجم صغير – مكتبة القاهرة بالازهر – مصر

المنارة – مجلة بطريركية الطائفة المارونية – ١٠٠ صفحة – حجم متوسط – شهرية – مطبعة جمعية المرسلين اللبنانيين – جونية – لبنان

جولة الأديب في شهر

المؤتمر الرابع لليونسكو

بقلم الدكتور خالد الهاشمي

ممثل العراق في المؤتمر

يسرني ان انتهز فرصة تمثيلي العراق في مؤتمر اليونسكو الذي انعقد في باريس في اواخر العام الماضي لتقديم كلمة موجزة لقراء الاديب عن بعض ما دار في هذا المؤتمر من ابحاث واتخذ من قرارات ولما كنت اعتقد بأن كلمة تمهيدية عن تاريخ هذه المؤسسة واهدافها وكيانها ضرورية لهذا الغرض ارجو ان اشرع بذلك اولاً .

لقد خرجت فكرة ايجاد هذه المؤسسة الى حيز الوجود سنة خمس واربعين وتسعمائة والف اي بعد انتهاء الحرب العالمية الاخيرة مباشرة اذ قد شعر بالحاجة الملحة الى دعم السلام في العالم عن طريق التربية والعلم والثقافة وذلك باعتبار ان الحروب تبدأ اولاً في عقول الناس لذلك وجب ان تصبح عقول الناس وافهامهم وعواطفهم نقطة البدء. والمحور الاساسي الذي يبنى عليه مشروع فعال يهدف لتحقيق السلام في العالم عن هذا السبيل. ولما كان الجهل والتعصب والفقر والمرض والظلم الاجتماعي من العوامل الكأداء التي تقف حجر عثرة في سبيل ايجاد تفاهم وتعاون حقيقيين في العالم فقد فكر بضرورة ايجاد مؤسسة دولية تعنى بالعمل على ازالة هذه العقبات والحدود تمهيداً لاحلال روح المحبة والثقة والتفاهم بين الناس والقضاء على الحروب والتخفيف من مصائبها وويلاتها وما تجره على البشرية من خسائر مادية وادبية كبيرة. ولما كانت بريطانيا من الدول التي تأثرت بالحربين العالميتين الاخيرتين كثيراً فقد خرجت منها الدعوة الصادقة لعمل شيء حازم وجديد في هذا السبيل. فعقدت اولاً في لندن مؤتمراً ضم وزراء معارف الدول الحليفة في الحرب العالمية الاخيرة. ثم تبعته بلجنة تحضيرية مهدت لدعوة ممثلي ما يقرب من اربعين دولة من جملتها المملكة العراقية لوضع دستور لمؤسسة دولية اطلق عليها بعد ذلك بموافقة هيئة الامم المتحدة اسم « اليونسكو » وهو الاسم المؤلف من الحروف الاولى للكلمات التي تدل على « مؤسسة جامعة الامم للتربية والعلم والثقافة » والتي اصبحت بعد ذلك من الهيئات الاختصاصية المرتبطة بهيئة جامعة الامم وان كانت تنعم بكيان وحكم ذاتي مستقلين عن تلك الجامعة الدولية السياسية. ولعل من الخير والنفع للانسانية ان تبقى هذه المؤسسة تنعم بهذا الاستقلال الخاص بها وتسعى عن طريق التربية والعلم والثقافة الى تقديم ما يمكن تقديمه وتحقيقه في خدمة سلام العالم ونشر الوعي فيه وتوفير اسباب التعلم والعيش ورفع مستوى الحياة في العالم اجمع اذ انه بمعالجة العوامل المؤدية للخصومات يقضي على الحروب بصورة طبيعية.

ولعل علماء العالم وقادة الرأي والفكر فيه الذين اخذوا يعالجون بعض مشاكل العالم المستعصية ذات الارتباط بنواحي اختصاصهم في حقول الاقتصاد والاجتماع والتغذية ومكافحة الاوبئة والامراض وزيادة المنتجات الزراعية ورفع مستوى المعيشة في البلاد المتأخرة وغيرها يستطيعون اصلاح الاخطاء السياسية القديمة وخلق عالم حر جديد وبذلك يحققون حلماً ذهبياً جميلاً طالما دار في خلد الكثيرين من القادة والزعماء والمصلحين في العالم قديماً وحديثاً.

اما اغراض واهداف هذه المؤسسة فهي التعاون على زيادة التفاهم والتعاون بين الامم وذلك باستخدام جميع وسائل الاتصال الشعبية الممكنة بما في ذلك عقد الاتفاقات الدولية الضامنة للانتقال والانتشار الحر لكافة الوسائل الثقافية من افكار ومطبوعات واذاعة وسينما وغيرها والعمل على تشجيع التعليم الشعبي ونشر الثقافة وتحقيق مبدأ تكافؤ الفرص في التعليم لكافة الافراد بقطع النظر عن الجنس والنوع او اي سبب آخر سواء اكان اقتصادياً ام اجتماعياً واقتراح خير الطرق التربوية الضامنة لتهيئة اطفال العالم لتحمل المسؤوليات التي تقتضيها الحرية. والمحافظة على المعارف الانسانية وزيادتها ونشرها وكفالة بقاء وصيانة التراث الثقافي العالمي من المؤلفات والآثار الفنية والتاريخية والعلمية وتوصية الشعوب التي يعنيها الامر برعاية الاتفاقات الدولية اللازمة لهذا الغرض وتشجيع تعاون الشعوب في جميع فروع النشاط العقلي بما في ذلك تبادل الشخصيات المبرزة في ميدان التربية والعلوم والثقافة وتبادل المطبوعات والآثار

الفنية وغيرها من وسائل التعليم والمعرفة. واما كيان هذه المؤسسة فيتألف من الادارة والسكرتارية العامة والمجلس التنفيذي والمؤتمر العام وتتكون السكرتارية العامة من مدير عام ينتخبه المؤتمر العام لمدة ست سنوات وعدد كاف من الموظفين بلغ عددهم في الاقسام الفنية والكتابية والادارية المختلفة زهاء السبعمائة عضو. ويتكون المجلس التنفيذي من ثمانية عشر عضواً ينتخبهم المؤتمر العام من بين مندوبي الدول المشتركة في الهيئة ويتكون المؤتمر العام الذي نحن في صدده الآن من ممثلي الدول المشتركة في الهيئة بحيث لا يزيد عدد مندوبي كل دولة على خمسة ويختارون بعد اخذ رأي اللجنة القومية اذا وجدت والا فتستشار الهيئات الثقافية والعلمية والتربوية القائمة في الدولة. وقد اتمت « اليونسكو » عقد اربعة مؤتمرات دولية حتى الوقت الحاضر كان اولها في باريس وثانيها في المكسيك وثالثها في بيروت ورابعها في باريس ايضاً كما تقرر قبول دعوة ايطاليا وعقد المؤتمر الدولي الخاص في فلورنس في شهر ايار المقبل الواقع في سنة ١٩٥٠ اي بعد ثمانية اشهر من تاريخه واملنا ان يكون تمثيل العراق في المؤتمر المقبل كاملاً فيمثله ما لا يقل عن ثلاثة اعضاء. ويفضل ان يكون اختصاصهم في التربية والعلوم والثقافة ليمثل كافة فروع الاختصاص التي ينقسم اليها « اليونسكو » وذلك بالنسبة لاهمية المؤتمر الآتي وسعة برنامجه.

المؤتمر العام

والمؤتمر العام لليونسكو هو بمثابة البرلمان الذي يحدد السياسة العامة ويقرر الخطط الرئيسية لاعمال الهيئة وينظر في المناهج والمشاريع المعدة من قبل المجلس التنفيذي والادارة العامة لبحر السنة ويصادق على الميزانية العامة. وكان من اهم الاعمال التي طرحت على المؤتمر في الجلسة الرابعة المنعقدة في باريس من ١٩ ايلول حتى ٥ تشرين الاول ١٩٤٩ مناقشة تقرير المدير العام الجديد الدكتور (توريز بوده) الذي انتخبه المؤتمر العام في بيروت من بضعة اشهر مضت لست سنوات وكان تقريره يمثل الخطة العامة التي ينوي المدير العام اتباعها والخطوات الاصلاحية التي يرغب انتهاجها والتأكيد عليها والمشاريع الجديدة التي يحاول تطبيقها وتنفيذها لذلك اشتركت معظم الدول في التعليق عليه وقد اثنى ممثلو الدول وخاصة دول امريكا الجنوبية اللاتينية على مقدرة المدير العام وعلى كفاءته ونجاحه في وضعه كما اطروا حسن تبويب وتنظيم الميزانية العامة المقترحة من قبله ومن قبل المجلس التنفيذي لسنة ١٩٥٠ والتي كونت القسم الآخر المهم من اعمال المؤتمر ونشاطه.

ويلاحظ ان الدكتور « بوده » بطبيعة اشتغاله السابق كاستاذ ووزير سابق للمعارف في المكسيك اشتهر ببعض المشاريع الاصلاحية في حقل التعليم قد وضع مركز الثقل في البروغرام الجديد المقترح لليونسكو على قسم التربية والتعليم فجاءت فصول الميزانية المخصصة للتعليم الاساسي « Fondamental Education » والاتصال الشعبي التهذيبي « Mars Communication » والقسم الجديد المقترح لاعداد المعلمين او الموظفين اللازمين للتعليم الاساسي والبعثات التربوية والمؤتمرات الاقليمية « Seminaos » كبيرة جداً بالنسبة لغيرها.

ومما يجدر ذكره في هذا الصدد ان المدير العام السابق العلامة « هكسلي » كان بطبيعة تخصصه في العلوم الطبيعية قد وضع مركز الثقل في اليونسكو على قسم العلوم الطبيعية وهو القسم الذي سيتولى الاشراف على المشروع الجديد للمساعدات الفنية والصناعية للبلاد المتأخرة كما سيأتي ذكره، مع العلم بان التوسعات المقترحة للاقسام الاخرى في الميزانية العامة لليونسكو لعام ١٩٥٠ لم تصب هذا القسم. وقد بلغت الميزانية للسنة الجديدة ثمانية ملايين وثمانمائة الف دولار اي بزيادة مليون دولار تقريباً عن ميزانية السنة الماضية ولكن نظراً للازمات الاقتصادية المنتشرة في اغلب انحاء العالم ثم نظراً لتنزل سعر الباون الاسترليني بالنسبة للدولار الامريكي بما لا يقل عن ثلاثين في المائة وتأثير ذلك في ارتفاع حصص الميزانية التي ستصيب كل دولة مشتركة في اليونسكو من منطقة الاسترليني بهذه النسبة فقد اكدت بعض الدول ومنها

العراق على وجوب تركيز الجهود وحصر الاتفاق في المشروعات الاساسية الضرورية دون غيرها وذلك للاقتصاد في النفقات من جهة ولضمان النجاح في العمل من الجهة الاخرى وباعتبار ان حصر الجهود في مشاريع معينة محدودة اضمن للنجاح من توزيع الجهود والاموال في مشاريع متعددة غير مضمونة النتائج. وقد حددت الميزانية بعد المناقشات والمباحثات الطويلة بثمانية ملايين دولار فقط.

ومن الحسنات العامة الميزانية الجديدة بالاضافة الى حسن تنظيمها وبيان القواعد والاسس العامة التي بنيت عليها وتقديم الايضاحات الكافية عن كل باب وفصل مقترحين للصرف تخصيص سبعين بالمائة منها للمشاريع والخدمات العامة ومالا يتجاوز ثمان وعشرين بالمائة فقط كاجور ورواتب للادارة والسكرتارية العامة.

ومع ان الممثل العراقي قد اكد في تعليقه عند البحث في تقرير المدير العام الجديد على وجوب تركيز الجهود في المشاريع العلمية الضرورية الا انه قد عضد عند البحث في الميزانية العامة بعض الفصول الاساسية التي ترتبط بتحقيق اهداف اليونسكو مباشرة كالتعليم الاساسي والبعثات التربوية واعداد الموظفين الفنيين للتعليم الاساسي وهو القسم الجديد المقترح من قبل المدير العام باعتبار ان هذا يمثل جزءاً ضرورياً متمماً للتعليم الاساسي ولا يصح تأخيره والتردد في تحقيقه كما اقترحت بعض الدول ذلك لاسباب مالية بحته.

ومن الامور الاخرى المهمة التي عرضت على المؤتمر للنظر فيها واقرارها قضية تقديم المساعدات الفنية والصناعية للبلاد التي لم تبلغ بعد المستوى الكافي من التقدم والرقي في العمران فاقرها المؤتمر العام بصورة مبدئية ثم احالها على لجنة خاصة منه لدراستها وتقديم التوصيات اللازمة بشأنها وقد جاء تقريرها مشجعاً ومحبذاً لتعاون اليونسكو مع هيئتي جامعة الامم والمجلس الاقتصادي الاجتماعي الدوليين في هذا السبيل من النواحي التربوية والعلمية والثقافية الخاصة بها وستصبح لهذه المساعدات ميزانية خاصة تتألف من التبرعات الاختيارية لكل من امريكا وبريطانيا وغيرهما ويقال انها ستتألف في السنة الاولى من ستة ملايين دولار تقريباً وفي السنة الثانية من عشرة ملايين دولار.

وكانت اليونسكو قد اقترحت لمشاركتها ولمساهمتها في هذا المشروع بعض الشروط المناسبة، منها وجوب موافقة البلاد التي ستقبل هذه المعاونات الفنية اولاً ومساهمتها المادية ولو بصورة جزئية وذلك لضمان حصر النفع بها دون غيرها كما اشترطت ضرورة تخصيص مدة كافية اقصاها عشر سنوات لضمان نجاح المساعدات الفنية وملاحقتها حتى تتكلل بالنجاح وتعطي الثمرة المؤملة منها. وستقدم المساعدات الفنية الصناعية على اشكال مختلفة منها البعثات الفنية التي ستقوم بالدراسات والتحريات التمهيدية لانواع المساعدات والحاجات المطلوبة ومنها الاستعانة بالخبراء والاختصاصيين لبعض الاقسام الفنية الصناعية كالمختبرات والمصانع الخاصة والعامة القائمة في البلاد ومنها الاستعانة بالخبراء في النواحي المتعلقة بالتربة والري والزراعة ومنها الاستعانة بالآلات والادوات والمواد الكيماوية وغيرها

واعتقد بان بلادنا التي تفتقر في الدرجة الاولى الى استكمال اسباب العمران فيها تستطيع الانتفاع من هذه المساعدات في شتى النواحي الفنية والصناعية التي تحتاجها وما عليها الا ان تتقدم الى الادارة العامة لليونسكو بايضاح انواع هذه المساعدات المطلوبة لتحظى بدراستها والتفكير بافضل الطرق الفنية المساعدة على انجاحها والنهوض بها.

ومن الملاحظات الاخرى عن المؤتمر الجديرة بالذكر التآخي والتعاون اللذين ظهرت بوادرهما بين بعض الهيئات التي تجمعها روابط قومية او اقليمية او ثقافية خاصة بها فقد كانت هناك وحدة طبيعية تضم شمل البلاد العربية الممثلة لاعضاء جامعة الدول العربية — مصر والعراق وسوريا ولبنان والاردن والبلاد العربية السعودية — من جهة والاقطار الاسلامية المجاورة لها كتركيا وايران والباكستان والافغان من الجهة الاخرى وكان هناك اتفاق عام في وجهات نظرها حول معظم القضايا المطروحة للبحث وخاصة ما تعلق منها بضرورة استمرار اليونسكو على مساعدتها التعليمية في لبنان والاردن وفلسطين وسوريا لابناء العرب من اللاجئين الفلسطينيين والشغل المشترك لذلك في اللجان الفرعية والمجالس والمؤتمر العام فاستطعنا بفضل ذلك التعاون الحصول على الموافقة اللازمة لتخصيص (٣٠٠٠٠) دولار من ميزانية اليونسكو العامة لسنة ١٩٥٠ لهذا الغرض بالاضافة الى الاكتتاب العام الذي تعهدت

اليونسكو القيام به في العالم اجمع للغرض نفسه كما تجلى هـذا الاتفاق يدعم الدول العربية والدول الاسلامية بالاجماع لاقتراح ممثل العراق بشأن تجديد انتخاب تركيا للهيئة التنفيذية لليونسكو ونجاح الاقتراح في المؤتمر العام بموافقة (٣٤) دولة عليه .

وقد لمسنا مثل هذا التقارب والتفاهم متمثلاً في الكتلة المؤلفة لممالك الامبراطورية البريطانية وفي الكتل الممثلة لجمهوريات امريكا الجنوبية اللاتينية الاسبانية كما ظهر مثل هذا التقارب في الكتلة التي مثلت ممالك اوروبا الشرقية والوسطى الممثلة في شيكو-سلوفاكية وهنغاريا وبولندة وقد احتجت هذه الدول في جلسة من جلسات المؤتمر العام باسلوبها المعهود وهو الانسحاب المشترك من المؤتمر العام عندما اخفقت في حمل المؤتمر على سحب مساعدات اليونسكو لالمانية بحجة اتجاهها نحو النازية في القسم الغربي منها ولكن هذا الانسحاب لم يتجاوز الثلاثة ايام .

وفيما عدا ذلك فقد كانت الروح التي سادت المؤتمر عالية وعظيمة .

وقد تقرر تجديد انتخاب كل من تركيا وامريكا وفرانسة والبرازيل وفنزويلا والنرويج للهيئة التنفيذية كما تقرر قبول سيلان عضواً جديداً في اليونسكو وقام المؤتمر بمباحثة عامة اشترك فيها الكثيرون من اعضاء المؤتمر عن واجبات الدولة من التربية والعلم والثقافة كما اقام اليونسكو معرضاً لحقوق الانسان تعاونت فيه بعض الدول على احضار واعداد الوثائق التاريخية المهمة المتعلقة بذلك . ويجب ان لا نختتم هذه الكلمة دون ان نذكر الحفلات والسهرات الرائعة التي اقامتها الحكومة الفرنسية لاعضاء المؤتمر في اللوفر والكي دورسيه وقد اقر المؤتمر في المدة القصيرة التي خصصت له عدة مشاريع واتخذ قرارات خطيرة سيظهر تأثيرها للعيان بصورة واضحة في المستقبل . وكلنا امل ورجاء ان يستمر العراق وتستمر الدول العربية الاخرى على الانتفاع من هذه المؤتمرات الدولية وخاصة في النواحي التربوية والعلمية والثقافية والاستفادة منها بصورة ايجابية . اذ بذلك وحده تستطيع افهام العالم قضايا وشؤون بلادنا الحيوية ومطامحها ومشاكلها وامكانياتها ، وبذلك وحده نستطيع اللحاق في ركب العالم المتمدن فنفيد ونستفيد ونعمل من اجل التقدم والسلام في عالم كثير التعقد سريع التطور والتحول . ونحن احوج ما نكون فيه الى اليقظة والوعي والانتباه الى ما يجري حولنا والى تبادل المنافع والمصالح والتعاون مع الآخرين في تعزيز القانون الدولي لحفظ كياننا وصيانة حقوق الشعوب وحرياتها والى المساهمة بصورة ايجابية وعلى قدر استطاعتنا في بناء عالم جديد وتحقيق سلام دائم لنا ولاولادنا وللعالم اجمع .

بغداد — الدكتور خالد الهاشمي

أنباء العالم في شهر

٢٣ فبراير ١٩٥٠ – اعترفت يوغوسلافيا بحكومة « هوشي منه » الفيتنامية الشيوعية التي تعتبرها فرنسا حكومة ثائرة .

– بدأت في روما محاكمة الماريشال غرازياني قائد الجيش الايطالي في افريقيا زمن الحرب .

٢٤ – اعلنت نتائج الانتخابات النيابية البريطانية وقد فاز حزب العمال باغلبية ضئيلة جدا على حزب المحافظين .

٢٥ – اعلن المستر اتلي بانه قرر البقاء في الحكم . وقد قدم الوزراء استقالتهم لرئيس الحكومة لتعديل الوزارة .

٢٦ – طلبت الحكومة الاندونيسية من بريطانيا ان تسلمها الكابتن وسترلنغ زعيم العصابات الثائرة الذي وصل الى سنغافورة حيث اعتقلته السلطات .

٢٧ – ما زال اضراب عمال مناجم الفحم الاميركية مستمرا منذ اكثر من اسبوعين . وكذلك اضراب عمال المنشآت الكهربائية والغاز والمواصلات .

٢٨ – عدل رئيس الوزارة البريطانية المستر اتلي وزارته .

– صرح المفوض السامي الاميركي في المانيا : ان توحيد المانيا السياسي على اساس انتخابات حرة في جميع انحاء البلاد هو الهدف الاساسي للسياسة الاميركية .

اول مارس ١٩٥٠ – صرح ناظر الخارجية الاميركية المستر دين اتشيسون بان الحاجة قد تدعو في هذا الربيع الى عقد اجتماع بين وزراء خارجية فرنسا بريطانيا واميركا .

٢ – وافق مجلس الوصاية على الفقرة المتعلقة بتحديد تخوم القدس كما كانت عليه في ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ .

٣ – وصل كونالي قائد القوات الاميركية في الاطلسي والمتوسط لدرس مشاريع الدفاع عن الشرق الاوسط .

– وقع اصطدام عنيف بين الشيوعيين والحكومة في المجلس الوطني الفرنسي وتعطلت اعمال المجلس الذي كان ينوي المصادقة على مشروع فرض العقوبات على الذين يعرقلون مشروع التسلح .

٤ – اعلن اديناور مستشار المانيا الغربية ان فصل مناجم الفحم في السار عن المانيا الغربية سيهدد مشروع مارشال بالخطر .

٦ – كذب الماريشال تيتو الانباء القائلة بان يوغسلافيا تسعى الى التقرب من الاتحاد السوفياتي .

– توفي المسيو البر لبران رئيس الجمهورية الفرنسية السابق .

٧ – هاجم الالمان في « برنزويك » دائرة التفكيك البريطانية في داخل معامل هيرمن غورينغ الفولاذية وجرحوا الضباط واحرقوا المكاتب احتجاجاً على تفكيك المصانع الالمانية .

– قدم نواب المعارضة في العراق وعددهم ٣٧ استقالتهم من المجلس النيابي .

– وصل الى لندن رئيس الجمهورية الفرنسية فنسان اوريول في زيارة رسمية .

٨ – نالت الحكومة الفرنسية الثقة من المجلس وباشر المسيو بيدو فورا تطبيق قانون قمع التخريب فاصدر مرسوماً بمصادرة مستخدمي وعمال الغاز والكهرباء .

– حكمت محكمة سنغافورة بالسجن شهرا واحدا على الكابتن وسترلنغ رئيس العصابة في اندونيسيا لدخوله البلاد خلسة .

٩ – صرح حامد زكي بك وزير الدولة في مصر بان المستر بيفن وزير خارجية بريطانيا اظهر استعداده للبدء في مفاوضات لعقد معاهدة جديدة في مصر .

١٠ – اطلق توفيق حمدان من الحزب القومي الاجتماعي عدة عيارات نارية على رئيس الوزارة اللبنانية الاستاذ رياض الصلح فلم يصبه .

١١ – صرحت الاوساط البريطانية ان حكومتي بريطانيا واميركا قد وافقتا على تقييد اليابان بمعاهدة صلح معتدلة كي تتمكن من احتلال مركزها العالمي .

١٣ – جاءت نتائج الاستفتاء البلجيكي في صالح الملك ليوبولد فقد نال اكثر من ٥٧ بالمئة من الاصوات

– قررت الحكومة السورية التي يرأسها خالد العظم الانفصال عن لبنان بالغاء الاتحاد الجمركي ومنع السوريين من زيارة لبنان الا باجازة ومنع اخراج اكثر من ٥٠ ليرة لكل سوري يزور لبنان .

١٤ – قدم فلاديمير كليمنتس وزير الخارجية التشيكوسلوفاكيا استقالته .

١٥ – انسحبت بولونيا من صندوق النقد والمصرف الدوليين .

١٦ – القى المستر اتشيسون وزير الخارجية الاميركية خطاباً خطيرا استهله بقوله ان الولايات المتحدة تعتبر ان تعاون النظام الشيوعي والنظام الديموقراطي من الامور الممكنة في العالم وان الولايات المتحدة تريد السلم ولكن ليس باي ثمن كان .

١٧ – اعلن الملك ليوبولد البلجيكي بان الامر يعود الى البرلمان لتقرير فيما اذا كان يعود الى العرش .

– اعلن وزير الدفاع البريطاني ان الحكومة تحاول انشاء جيش بريطاني قوي من النظاميين عن طريق التجنيد الاجباري .

– اضرب ٢٥٠ الف عامل بلجيكي احتجاجاً على بيان الملك ليوبولد وامل عودته الى العرش .

١٨ – قدمت الوزارة البلجيكية استقالتها الى الوصي .

١٩ – وافق البرلمان العراقي على استقالة نواب المعارضة الـ ٣٥ من المجلس بعد ان سحب اثنان استقالتيهما وتقرر ان تجري انتخابات فرعية قريباً .

٢٠ – صرح المفوض السامي الاميركي بالمانيا ان انشاء جيش في المانيا الغربية ليس موضوع الساعة .

٢١ – تجددت الحوادث والاصطدامات في روما بين الشيوعيين وبين اعضاء الحركة الاجتماعية الايطالية .

٢٢ – اصدرت الغرفة التجارية الاميركية كتيباً طالبت فيه الشعب الاميركي بالاستعداد لحرب مفاجئة وضمنته التعليمات الواجب اتباعها لمقاومة اخطار القنبلة الذرية وحرب الميكروبات والكيمياء .

– اعلن في واشنطن انه سيجري خلال شهر ابريل تجربة قنبلة هيدروجينية صنعت في الولايات المتحدة .

مطابع صادر وريحاني – تلفون ٦٢ – ٦٨